

قراءة في كتاب

العقلية الليبرالية

في رصف العقل ووصف النقل



غراس
للإنتاج الفكري



"العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل"

الشيخ عبد العزيز الطريفي

مقدمة وتمهيد

"لولا جنابة العجلة والعجب والطيش والحدة والخفة على أصحابها، لصحت لهم العقول، وكم حذر الوحي من تلك الغوائل التي تقطع الطريق على العقل أن يكمل دورته ليعطي الحكم بلا مين، وما هو إلا مخلوق يحكم على نحو ما يعطى، يبحث وينظر، ويكشف وينقّر، ويستقصي ويسبر، ويسأل ويستبصر، فإذا قطع الطريق عليه أعطاك حكماً متلجلاً، لا نظام وله ولا اتساق"

هذه الكلمات المختزلة وصّف الشيخ عبد العزيز الطريفي مشكلة الليبرالية مع العقل وتكوينه، وكيف حُوّل بسبب بعض الأفكار والمسلمات من أداة للوصول لخالق الكون لمنجلي يُغتال فيه الخالق وتنقلب فيه الفطرة، وهذه الصفحات هي خلاصة ما ذكره الشيخ عبد العزيز عن الفكر الليبرالي والردود على شبهاته ونسأل الله العظيم أن يفك أسرهِ ويعيده إلى الأمة سالمًا غانماً.

وقد انقسم كلام الشيخ في المقدمة لقسمين رئيسيين، قسم ذكر فيه تعريف الليبرالية ومرتكزات أفكارها وقسم آخر ناقش فيه عيوب العقل والمخادعات التي يقع فيها وتقوده إلى نتيجة عقلية خاطئة بالضرورة فيقول:

" الليبرالية فكر عقلي يبدأ من العقل وينتهي إليه، ويتسع باتساع العقل ويضعف بضعفه، ليس لديه شيء يتحاكم إليه غير العقل في شأن الفرد وفي شأن المجتمع ونظامه، ويحاكم العقل نفسه ولا يقاضيه أحد، فهو أعلى مخلوق حاكم وأعلى مخلوق محكوم."

ويرى المؤلف - سيذكر ذلك مفصلاً في الكتاب - أن الفكر الليبرالي يُضعف أمر الآخرة ولا يهتمُّ بها لأنه فكرٌ دنيويٌّ محض، لا يهتم بالغيبيات ولا يتعامل معها، ولا يرى الخوض في قضايا الدين والآخرة، والسبب الأساسي في قبول بعض العقول للفكر الليبرالي هو توافقه مع نوازع النفس وغرائزها وحكمه على الأمور من خلال الظواهر وليس عن طريق تأصيل الأمر وربطه بالأمور الأخرى.

المؤثرات التي تخدع العقل وتؤثر في تقبله الأفكار

- 1- العقول قد تعتقد بفكرتين متناقضتين فترة طويلة من الزمن ولا ينكشف لها ذلك إلا عند الحاجة للعمل بها، فترى عند تعارضها مع غيرها من الأصول، وربما يعيش الإنسان عمراً كاملاً ولا يمرُّ عليه عوارضٌ تناقضُ أفكاره المغلوطة وتبينها له، فيحسب أنه على حق في تلك الفكرة الخاطئة.
- 2- سهولة سقوط العقل في فخ الإعلام، إذ أن الإعلام قادر على تحقير الأمور المهمة بتجاهلها، وتهويل الأمور الصغيرة بتسليط الضوء عليها وتضخيمها، ويعبر الشيخ عن ذلك بعبارة رائعةٍ إذ يقول: "والعقول تتأثر وتخدع بما ترى ويتكرر عليها ولا تستطيع التمييز بين حقيقة تكرار وقوع الشيء عملاً، وبين كونه وقع مرةً ولكنه يُكرر ذكراً على العقول حتى تتأثر بتكراره ذكراً كما لو انه تكرر وقوعاً".
- 3- تأثره بهوى النفس وانقياده ورائها والاسترسال بوساوس الشيطان يجعل الأفكار مستساغة في العقل، وقد تكون الفكرة ضعيفة التأثير ولكنها وافقت هوى في النفس فقبلها العقل دون مزيد تمحيص وتدقيق.

ملاحظات على طريقة التلخيص

- 1- العناوين المكتوبة بخط غامق هي من وضع المؤلف.
- 2- العناوين المكتوبة بخط عادي هي عناوين إضافية لتوضيح الأفكار وتقسيمها.
- 3- الكلام الذي بين معترضتين " " هو من كلام الشيخ في الكتاب كما هو.
- 4- لم يتم تخريج الأحاديث في الهامش وإنما تم ذكر الرواي والمخرج قبل الحديث.

ونسأل الله القبول في الأقوال والأعمال كلها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمهيد

سيبدأ الشيخ بسرد بعض الأفكار العامة التي تمهد الطريق أمام الأفكار الليبرالية حت تتقبلها العقول، وذلك من خلال عناوين منفصلة لا يبدو فيما بينها تسلسل واضح، وبعدها سيذكر تاريخ الليبرالية وعلاقتها بالعلمانية والسياق التاريخي لتشكّلها في الغرب ثم في الشرق، وفي نهاية الكتاب سوف يذكر أصول الليبرالية الأربعة ويرد عليها وفق منهج الإسلام الحنيف.

الخطأ المشاع

يعرض المؤلف هذه الفكرة عبر هذا العنوان الدقيق والذي قد يعسر فهمه من القراءة الأولى، إلا أنه ببساطة قام بتشبيه الصفات النفسية السيئة والأفكار الخاطئة بالمال المشاع الذي يكثر فيه الشركاء ويكثر فيه التخاصم، ويعبر عن ذلك بقوله:

"ومن عجائب النفوس أنها مركبة من البخل والكرم، والورع والانسلاخ، والرزانة والسخف، والشجاعة والجبن، والدهاء والغفلة الخ.... وكل نفس تؤمن بهذا التركيب البشري في الأصل ولكنها تنفي نصفه السيء عن أفعالها والسبب في ذلك أن النفس تأنف من وصف النقص لها منفردة، وأما وصف أصل الخلقة البشري بذلك فهو ليس لها وحدها بل لجميع الناس، فأين ذلك الأصل البشري من أفعال الأفراد؟! ولم يتقاذفون ثمرةً أثبتوا غرسها؟!"

ولذلك يرى الشيخ أن السعيد هو الذي وجد تلك الآفات الضائعة في نفسه وقاومها قبل أن تتمكن منه، وكذلك الأمر بالنسبة للأفكار الخاطئة ينبغي استبدالها بالصحيح حال ظهور الحق للنفس.

"وأمثل ما يطلب من النفس في ابتداء الإقرار بالحق أن تقر به في نفسها فحسب، وألا تدع الحق يرجع عنها بعد استجلانه لها تهيّباً من الإقرار به علانية، فربما رجع الحق ولن يتجلى للنفس مرة أخرى على النحو السابق، فيحرم الإنسان الحق مكابرة ومعاندةً من نفسه على نفسه دون أن يشعر"

وهذا ما حدث مع قوم سيدنا إبراهيم عندما تجلت لهم الحقيقة بعد أن حطم أصنامهم وقال لهم (فسنلوهم إن كانوا ينطقون) فذهبوا وفكروا في أنفسهم وتجلى لهم الحق واضحاً فوصف الله حالتهم فقال (فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون) ولكنهم لما رأوا ثقل اعترافهم بالحق على أنفسهم، تركوا الحق الذي تجلى لهم ورجعوا إلى الباطل والمجادلة.

تزيب الحقائق

"لا تقوم الحياة إلا بالمادة، ولا تقوم الآخرة إلا بالعقيدة والعبادة، فكما تُزيف المادة من الذهب والفضة والنقود، فكذلك العقائد والأفكار والأخلاق " إذ أنها تُزَيَّف ويخدع الإنسان بها، ولا يميزها إلا ذوو التجربة والخبرة كما هي الحال مع النقود المزورة"

ويستهل حديثه عن تزيب الحقائق بالحديث عن بعض طباع النفوس التي أثبتها القرآن:

1- صعوبة تحولها من حال إلى حال، وخاصةً عندما تعتاد على نهج مزيف، حتى تصير قلوب أصحابها أقسى من الحجارة لشدة تصلبها على تلك العادات.

2- الطمع: وكما أن النفوس تطمع في الماديات فإنها كذلك تطمع في العقائد والأفكار، والشح من صفات النفس اللازمة لها (وأحضرت الأنفس الشح) والشح كما أورده ابن جرير الطبري عن ابن عباس: هواه في الشيء يحرص عليه، والنظرة المادية للحياة - كما هي في الفكر الليبرالي - تسقي جذور الشح في النفوس وتنميتها، ولذلك كان أسلوب القرآن في آيات الحقوق بين الناس أن يذكّر بعدها بالعبادة والإحسان كي تتعادل كفة الميزان

بين الطبع الفطري في الشح والطمع وبين الوحي الذي يأمر بالعبو والصفح (وأحضرت الأنفس والشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً).

ومن الصور التي تُزيّف بها الحقائق:

- 1- البراعة والقوة في إظهار الرأي: "ومن صور تزييف الحقائق أنه متى كان أحد الداعين قويا في إظهار قوله، فأتباعه أكثر ولو كان مخطئاً، ولكن متى ما انخفض صوته تبدد أتباعه، ويوجد من الناس من يؤمن بالحق ظاهراً لأنه أول شيء معلوم وارد إليه، أو لأنه أقوى ظهوراً وصوتاً من الباطل، فإذا أصبح الباطل أقوى صولة وظهوراً ينقلب وينتسكس إلى الباطل.
- 2- تبني الأغنياء والحكام الرأي الباطل: وذلك بسبب أثر مكانتهم الاجتماعية في قلوب الناس " فالسلاطين والملوك وأهل الجاه لهم هيبة في نفوس العامة تضعف معها القلوب، فتأتيها تلك الأفكار وهي ضعيفة فتستقر، ومن أقوال عمر بن الخطاب في هذا المقام (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)، ولذلك، ربما كان يكفي لتقرير شيء من الأفكار والأفعال وتشريعه أن يفعله الحاكم أمام الناس، فيقلده الناس (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً).
- 3- ضعف الأفكار بضعف مكانة أهلها وحقارتهم: وهذا مقياس غير صحيح ولكنه غالباً تختل معه العقول عن إصابة الحق، وقد ترك بعض قوم نوح الحق لهذا السبب (أنؤمن لك واتبعك الأزدلون).
- 4- ميل النفوس لتقليد الأكثرية: وذلك لأنها تعتقد أن الخطأ بعيد عن الأكثر، وأنه كلما كان أتباع أمرٍ ما أكثر كانوا أقرب للصواب، ولذلك جاء الأسلوب القرآني ليبين تأثير العقول بالأكثرية في كثير من المواضع، من بينها قول فرعون عن موسى وأتباعه (إن هؤلاء لشردمة قليلون)، وذلك ليجعل الناس تتأثر بمعيار الأقلية والأكثرية.

الحيرة المصطنعة

وهذه هي حجة قوم شعيب (يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ولولا رهطك لرجمناك) حيث يدعي الإنسان عدم فهم الخطاب الموجه له، ويظهر حيرةً مصطنعةً تجعل العقل بعيداً عن الوصول إلى الحق والإقرار به، ومنها المبالغة بقراءة الشبه وتأصيلاتها دون البحث عن رد هذه الشبه.

"ومن القصور في الفكر إهمال الحقائق، والبحث عن دلائل تحيي الشك وتنميته على حساب الحق، ومثل ذلك عدم البحث عن سبب الظن والشك وتركه في العقل، فالحقائق تبدأ بالظن ثم تكون يقيناً"

ثم إن الهوى يتحكم بالعقل ويسوق لجامه ليريه الحقائق على الصورة التي تهواها النفس، لا على الصورة الحقيقية وفي هذا يقول المؤلف: "ومن يطلب كتب الأوائل ويجمعها، وينظر فيها، ويشتهي نوعاً من المعاني معيناً، فلن يبصره إلا هو، فيظن أن فُتِحَ فاتح عليه من المعرفة ما يتأيد به، فيأخذ المعلومات على وجه البتر لا على وجه التحقق والجمع والإنصاف، فتارة يرى الرجال حجة، وتارة يعتمد على الدليل وحياً وسنةً، وتارة عمل الناس وتقبلهم، وتارة هم رجال ونحن رجال، ولهم عقول ولنا عقول، والحق أن غايته قد استقرت من قبل هذه المطلوبات، وإنما يطلب لها مؤيداً"

ثم انتقل الشيخ بعدها إلى لونٍ آخر من ألوان الحيرة المصطنعة وخداع العقل وهي إظهار حب الوصول إلى الحق ولكن عن طريق المطالبة بحججٍ مغايرة أقوى من سابقتها (انت بقرآن غير هذا) وربما حاول صرف عقول الآخرين عن سماع الحجج والبيانات عن طريق التهمك بشخص المتحدث والاستهزاء به، وهذا أسلوب فرعوني قديم استخدمه مع موسى من قبل حين استهزأ بثقل لسان سيدنا موسى (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين).

وختم حديثه عن نوع آخر من أنواع التهرب من سماع الحق وهو قطع الطريق على الحق أن يصل إلى العقول والأفهام، وإشغالها عن أن تستوعب الحق المطروح بقضايا أخرى، واختلاق نوازل وبلايل تفقد العقل التأمل والتركيز، وتفقد صاحب الحق التوازن في الاسترسال في عرض الحق، ومن ذلك ما قاله أبو جهل لمن معه: إذا قرأ محمد القرآن فصيحوا في وجهه، حتى لا يُدرى ما يقول.

وفهم نزل قوله تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)

الغلو والانسلاخ

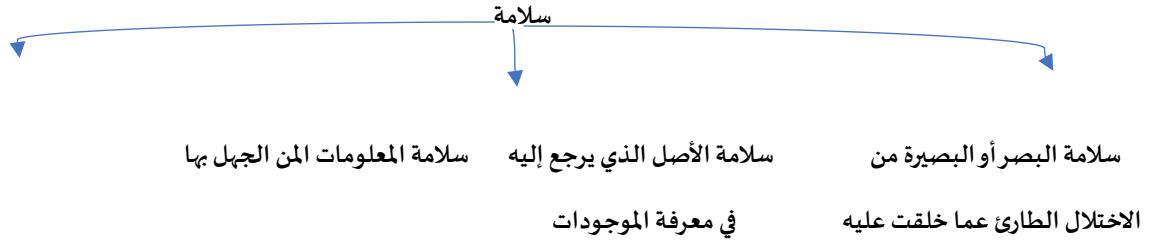
وأحد الحواجز التي تقف في وجه العقل وتصده عن الوصول إلى الحق هو خوف النفس من أن تُوصَفَ بالغلو إذا كانت الأفكار أقرب للتشدد، أو الانسلاخ إذا كانت أقرب للتساهل والتفلة، وتحدث عنهما الشيخ فقال:

"ولا حد لتفسيرهما (الغلو والانسلاخ) في العقول البشرية المجردة، فقد تجد من يقع في الأفعال الفاحشة، كاللواط والتعري ولا يرى نفسه منسلخا، وترى من يحزُم على نفسه الطيبات، كالزواج وأكل اللحم ولا يُعدُّ ذلك غلواً، فلا تُعرف قيمة الموجودات تامةً إلا بأهلية العقل للمعرفة وسلامته من التأثير بغيرها"

وسبب استمرار الناس باعتقاد بعض الأفكار المتسمة بالغلو أو الانسلاخ هو كثرة التعرض للمواد السمعية والبصرية التي تؤكد الأفكار التي يؤمن بها والأفعال التي يفعلها، فالتكرار للفكرة تحولها لعقيدة راسخة في عقل المتلقي ولذلك كانوا يقولون قديماً (كثرة النظر في الباطل تذهب بنور الحق) وقد ذكر المؤلف حل هذه المشكلة فقال:

"ومن تمام عقل الإنسان أن يسوسَ الإنسانُ عقله ويقوده ولا ينساق لسياسة غيره، فإذا أراد أحدُ الإكثار من عرض الباطل على عقله ليؤثر عليه، فليقابله بالإكثار من عدم الإنصات وصرف البصر بالقدر الذي يساوي تلك الكثرة المزيفة الزائدة عن الحد، فيُرجع الأفكار إلى حجمها اللائق بهذه الموازنة، لأن من يملك قلبه اليوم لا يملكه غداً، وهذه السياسة العقلية لا تكون إلا لأعقل الناس والخُلص من المجتمعات"

وذكر الشيخ ثلاثة شروط يجب توافرها حتى تصح معرفة أقدار الموجودات ومعرفة مرتبة الوسط منها بين الغلو والانسلاخ حيث قال:



1- سلامة البصر أو البصيرة من الاختلال الطارئ عما خلقت عليه، فالجسد المحموم لا يصح منه وصف الهواء بالبرودة أو الحرارة، لأن الجسد معلول والهواء هو هو لم يتغير، والدواخل على العقول من الأمراض والعلل أكثر من الدواخل على الأجساد، فالعوارض العقلية تمر على العقل والذهن كلمح البصر وتتابع ولا تنتهي، وكثيرا ما تتأثر العقول بذلك فيؤثر ذلك على حكمها، فمن عاش بعقله وبصره وبصيرته في جو الانفلات والإسراف سيصف الاعتدال بالتشدد والغلو لا محالة وعكسه بعكسه.

- 2- سلامة الأصل الذي يرجع إليه في معرفة الموجودات كالمعارف وغيرها، فما كان أصل معرفته الدين فمرده إلى النص والوحي الإلهي، فهو الحكم وهو الفصل، وكثيراً ما يرجع إلى معرفة مواضع الإفراط والتفريط في الأقوال والأعمال في الدين إلى الذوق والحس وموافقة كثرة الناس، وهذه موازين صحيحة ولكن وزن بها غير ما اختصت به ووُضعت له، فالإفراط والتفريط ميزانه الشرع وليس الحس.
- 3- سلامة المعلومات من الجهل بها، فالجهل بوحدة منها يؤثر على الأخرى، فالذي يريد أن يعرف الطريق الوسط لا بد أن يعرف الطرق الأخرى حتى يعرف أن الذي هو عليه هو المتوسط بينها، فالطرق الثلاث: الغالي والجافي والوسط، الجهل بواحد منها يؤثر على الحكم التام على الباقي منها، فإذا عرفت طريقين فقط، طريق الوسط وعرفت معه الجافي ستقول عن الوسط: إنه غلو، وإذا عرفت الغلو والوسط ستقول عن الوسط: إنه تساهل وتفريط، والواجب عند الحكم إجهاد الفكر والعقل بالتأمل وطول النظر (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون).

أثر الانشغال بصدق القلب

"للقلب وجه كوجه الجسد وبصر كبصره، إذا التفت إلى جهة انشغل عن الأخرى وأهملها، وكثيراً ما يعلم الإنسان من نفسه الصدق والتجرد ويطنه كافيًا في إصابة الحق، ويتكل على ذلك فينشغل بتتبع مطامع نفسه وهوها ويغلق المؤثرات عليه حتى لا تؤثر في حكمه." وبذلك يستغرق في الفكرة نفسها دون الانتباه إلى أنه شطأ عن الأصل وابتعد عنه، ويعذر نفسه بعدم الاستماع للأقوال الأخرى بحجة صدق نيته في الوصول إلى الحق، وتعمقه في الفكرة وما اشتملت عليه، وفي هؤلاء ينطبق قوله تعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا). فالانشغال الزائد بسلامة القصد يأخذ من سلامة المقصود من الأفكار والأفعال ويعمي صاحبه عن صحة فعله وسلامته.

الليبرالية نواتها وثمارها

هذا هو القسم الأول من الكتاب فعلياً وبه بدأ الشيخ عبد العزيز تاصيل الليبرالية والبحث عن جذورها، ويرى أن الأصول التي تشكل نواة الليبرالية هي:

1- إطلاق الغرائز فهو فكر قائم بأصله على إعطاء الإنسان الحق الكامل في جميع أفعاله بغض النظر عن أفعال غيره من الناس، وعدم المقارنة بها، والاكتفاء برأيه العقلي الشخصي في تقييم جميع الأفكار والأفعال دون الرجوع لمصدر مقدس، أو شخص موثوق، وسبب انتشاره ورواجه بين الناس هو اعتماده على أصل غريزي، والغريزة فطرة ثابتة، والأفكار التي لا تعتمد على أصل غريزي لا تستقر ولا تدوم غالباً، ولذلك فإن النفس تميل لتقبل الليبرالية لأنها تشبع غرائزها.

2- التحرر من القواعد والأحكام: "والفكر الليبرالي يسعى إلى أن يفعل الفرد ويقول بلا حد ولا ضبط من غير تأثير خارجي عليه، أو تأثير منه على أحد، ويجب ألا يكون متأثراً بأي فكر أو اعتقاد ديني أو قبلي أو عرقي، فالحاكم على الإنسان عقله فقط، هو الذي يُشرع للأفراد بلا شريك، لذا لا يهتم العقل الليبرالي بأفعال غيره لأنها لا تعنيه، وهذا نقص في إدراك لوازم الأفعال، لأن الأفكار لا تنضبط ويُعرف صحيحها من فاسدها إلا بمجموع فعل أصحابها، وقد وافق هذا الفكر طبعاً في الإنسان، فالإنسان (كنود) يكره أن يراقبه أحد فضلاً عن أن يحاسبه أو يشاركه فيه، قال تعالى: (إن الإنسان لربه لكنود)"

واستطرد المؤلف في شرح هذه الفكرة لأنها سوف تكون أصلاً في أفكار الكتاب القادمة فقال:

"وعلى هذا فالفكر الليبرالي ضد التعقيد والتأصيل، ومن ثمار ذلك أنه لا يوجد لديهم مقدّسٌ أو معظّمٌ من كتابٍ أو منظرٍ لا يُخرج عن قوله، وإنما هو عقل الفرد عليه تدور الأفعال والأقوال وهذا سبب عدم فهم كثيرٍ من الناس الليبرالية والخطأ في تفسيرها، وهذا الاضطراب أصبح عائقاً عن معرفة معيار الصواب والخطأ عند معتنقي الليبرالية فتسيّرهم الشهوات والشبهات والأهواء والمصالح الخاصة لذواتهم ودولهم".

وأنتهى حديثه عن هذه الفكرة بتوصيف العلمانية بالوصف القرآني الذي يناسبها، وهو (السُدُوِيَّةُ)، كما قال تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى)، حيث قال الشافعي في تفسيرها: (لم يختلف أهل العلم بالقرآن فيما علمت أن السدى هو الذي لا يُؤمر ولا يُنهى)

ثم بين المؤلف أثر الفطرة الإنسانية في نظرتها إلى الأفكار والعقائد والحكم عليها، وفيما يلي ملخص كلام الشيخ ورأيه في المسألة:

"ولما كان جمهور الناس أصحاب أفعال وممارساتٍ لا أصحاب أفكار وتنظير، كان ميلهم إلى تحقيق مصالحهم الذاتية أكبر من ميلهم إلى التفكير بالقضايا الأخرى التي تخص عموم الناس، ولذلك فإن كثيراً من المنتسبين إلى الليبرالية يفهم ما يعنيه من أصول الليبرالية دون محاولة فهم مجموع نتائجها، وهذا خطأ كبيرٌ في باب العقائد والأفكار، لأنه لا يمكن فهم العقائد إلا بفهم جميع مبادئها ونتائجها التي هي مركبة منها، ومن ثم يكون الحكم عليها".

ثم ختم الحديث عن نواة الليبرالية وثمارها بالكلام عن أحد الأمور الغريزية الفطرية التي أنعشتها النظرة الليبرالية للحياة:

"وفطرة الإنسان تعظم المصلحة الخاصة به، والمصلحة الخاصة به على نوعين لا تخرج عنهما:

الأولى: إعادة نعمة مسلوقة منه، سواء سلبت منه بالحق أو بالباطل، مثل سلب المال أو سلب حرية التصرف بالقول أو الفعل.

الثانية: الحصول على نعمة جديدة، كالمال والولد وغيرهما.

"وأعظم ما يشغل قلب الإنسان ويؤثر فيه النوع الأول، ويجد منه عزيمةً لمن يعيد إليه تلك النعمة ولو بالباطل، والأفكار والأنظمة والنواميس التي تنادي بذلك تأخذ لب الإنسان، وقد رأيت أن الإنسان يحب الذي يقوم بإعادة ديناره المسلوب قسراً وظلماً أكثر ممن يعطيه أضعافه هبةً، وذلك لأن غريزة الإنسان تشغل بالمصائب أكثر من النعم.

وأصل نشأة الليبرالية الذي نبت فيه، هو إعادة كل غريزة مسلوقة صحيحة أو خاطئة، مستقيمة أو شاذة إلى الناس، فوافقت الليبرالية الغريزة من كل وجه، والفكرة من بعض الأوجه، وهكذا تنشأ الأفكار بحسب موافقتها للغرائز وسد حاجتها عبر الأزمنة، وكيف إذا كان الفكر تؤيده دول كبرى وتدفع ما تملك لتحقيقه وإذاعته، ترغيباً وترهيباً كما في الليبرالية".

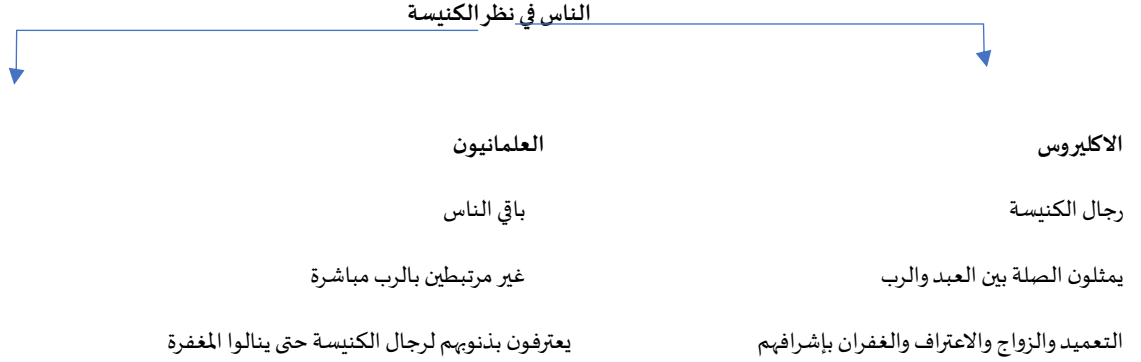
العلمانية الفلسفة الأم لليبرالية

يرى المؤلف أن العلمانية هي الفلسفة التي تسبق كل نظام يفصل الدين وينحيه أو يلغيه بالكلية عن الحياة، وبالتالي فإن سائر الأفكار العقلانية علمانية بالضرورة، كالماركسية والليبرالية، والعلمانية هي الأساس الفلسفي لليبرالية ولذلك انطلق المؤلف من تاريخ نظرة الكنيسة للناس وتقسيمهم حيث قال: "فالكنيسة منذ نشأتها تقسم أفرادها قسمين:

"القسم الأول: إكليروس وهم رجال الكهنوت أو الدين، وهم الصلة بين العبد وربّه، ورجل الكهنوت هو أبو الاعتراف الذي يرتبط له الشخص النصراني مدى الحياة، فالأصل في كل مولود يخرج إلى الحياة عدم الاعتراف بنصرانيته حتى يتم تعميده من قبل القس ولا يُعترف بزواجه إلا

بتشريع، وإن أذنب اعترف له بكل خطيئة يعملها لتغفر له، ويمنحه صك الغفران لقبول التوبة وعند الموت هو من يتولى مراسيمه من تكفين وغيره، وإلا فميتته ليست على الدين.

القسم الثاني: ما ليس من القسم الأول، وهم جمهور الناس وسوادهم، وهم (العلمانيون)، وهم كل فرد ليس من القسم الأول القليل، ومهما كان وصفه وقيمته وحرفته، جاهل أو متعلم، فقير أو غني، وهم كل من لا يرتبط بالرب مباشرة.



"وهذا المفهوم الفلسفي لتركيبة المجتمع الغربي منذ عصوره الأولى، أصبح أرضاً نبئت فيها الحياة الغربية المعاصرة، وبقتها الإعلامية والعسكرية تسللت تلك الفلسفات إلى الحياة الشرقية، حتى لا يخلو مجتمع شرقي من تأثيراتها، وأصبح من نظر في التركيبة الغربية من المنتسبين للإسلام، ينقل تلك المفاهيم ويردها في صراعاته مع الإسلام بلا تمييز ومعرفة بحقيقة الإسلام، وكثير منهم أصحاب هوى يريدون الانسلاخ من شرائع الإسلام فيبدعون أن خلافهم مع رجال الدين المسلمين ومفاهيمهم، لا مع النص، وهذا المفهوم لا وجود له في الإسلام، فلا يوجد رجال دين حتى يقابلهم رجال دنيا، وإنما يوجد علماء الدين وفقهاؤه يبلغون الحق للناس كما بلغه محمد صلى الله عليه وسلم، لا يُعبدون أحد ولا يعترف لهم أحدٌ بذنب، ولا يترهبون ولا يتبتلون، يتزوجون ويبيعون ويشتررون ويعملون كأعمال الناس وحرفهم، يحولون دون كل فهم شاذٍ متسوّجٍ على الحق بالشبهة والشهوة، فيقطعون عليه طريقه، ففي الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يحمل هذا العلم من كل خلفٍ عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)".

وعلى العموم فعلماء المسلمين -على عكس النصارى- يحذرون من كل وساطة متوهمة يستغلها أهل القبور والأضرحة والمزارات، ويحررون العقول والأبدان من كل وهم يحول بينهم وبين خالقهم، وهذه هي المشكلة التي اصطدم بها كل من حاول نقل الأفكار الليبرالية للمجتمعات المسلمة، حيث قام بقياس الأديان الفاسدة على الإسلام وحاول تطبيق الأفكار الليبرالية كما هي في العالم الإسلامي.

وتعتبر الليبرالية الأديان من الأشياء التي تتحكم بتصرفات الإنسان وتحدها، ولذلك فهي لا تنسجم مع العقائد الليبرالية، ولا يفرقون فيما بينها، فالإسلام والنصرانية والبوذية عندهم بمنزلة واحدة، ولما كان صراع الليبرالية الأول مع النصارى ورجال الكهنوت تعامل الليبراليون مع كل الأديان على نفس المنوال، وأخذ أتباع الفكر الليبرالي من غير النصارى ينقلون مصطلحات الصراع مع النصارانية في صراعهم مع الإسلام متجاهلين حقيقة أن هذا الدين محفوظٌ لا يتغير كما تغيرت اليهودية والنصرانية.

سيذكر الآن الشيخ تاريخ الكنيسة وتطور العقيدة النصرانية حتى يصل إلى انقلابهم على تعاليم النصرانية ووصولهم إلى الليبرالية، وقد وضعت بعض العناوين لتسهيل القراءة وتسلسل الأحداث، وفيما يلي جدول للخط الزمني لتطور الكنيسة وظهور الليبرالية:

العام	الحدث	نتائجه
أوائل القرن الرابع للميلاد	بداية أفكار أريوس حول عدم ألوهية عيسى في الاسكندرية	حيث كان أريوس ينكر الثالث ويقول إن عيسى ليس هو الله ولا ابنه، وبسبب اصطدامه مع البابا ألكسندروس هاجر إلى نيقوميديا.
325 ميلادي	انعقاد مجمع نيقية وتوثيق رفض الكنيسة لعقيدة أريوس.	على الرغم من موافقة بعض الأساقفة في الكنيسة على دعوته تم رفض دعوة أريوس لتندثر فيما بعد.
400 ميلادي	الكنيسة تتبنى عقيدتين حول عيسى: الكاثوليكية والأرثوذكسية	الكاثوليك: عيسى هو ابن الإله وله أيضاً طبيعة بشرية الأرثوذكس: عيسى له طبيعة إلهية واحدة
610 ميلادي	بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم	انتشار الفتوحات الإسلامية وبدء عصور الظلام.
610-1500 ميلادي	عصور الظلام في أوروبا والكنيسة	ساد الإقطاع والتفاوت الطبقي في أوروبا، حيث كان الناس يعيشون في ظلام فكري واجتماعي، ويعملون كالعبيد في الأراضي الزراعية.
1500 ميلادي	ثورة مارتن لوثر ضد الكنيسة الكاثوليكية	بسبب فساد الكنيسة ومنح صكوك الغفران بدأ مارتن احتجاجه ضد الكنيسة الكاثوليكية وأسس البروتستانتية، وتأثر كالفن بثورة مارتن.
1618-1648	حرب الثلاثين عاماً	واندلعت الحرب بسبب الاختلاف بين البروتستانت والكاثوليك، وانتهت الحرب بالاتفاق على نبذ الكتاب المقدس والخلافات الناتجة عنه والتأصيل للعلمانية.
1778 ميلادي	جان جاك روسو وفولتير والعقد الاجتماعي	تأثر روسو بالبروتستانتية ودعا إلى المساواة والحرية.
1789 ميلادي	الثورة الفرنسية	إلغاء الملكية، وإعلان وثيقة حقوق الإنسان.
1789-.....	بدء عصر انفتاح الحريات وتقديس العقل	بداية عصر الليبرالية في الغرب والتدرج في الحريات.

دعوة أريوس وجهوده في إصلاح الكنيسة

كان أريوس أحد الأساقفة في الإسكندرية وكان يرى أن عيسى ابن مريم ليس الله ولا ابن الله، وإنما كلمة الله وعبدته وهو بشرٌ يصح منه الخطأ البشري كغيره وإن الأب هو الإله فقط، وكان ينكر الثالث القدوس، وقد اصطدم أريوس مع البابا ألكسندروس الذي كان من كبار اللاهوتيين في الكنيسة الإسكندرية التي كانت تتحد مع كنيسة روما، حيث كان حاول إقناع أريوس الرجوع عن مذهبه ولكن دون جدوى، حتى عقدت الكنيسة لأجله مجمعاً محلياً جُرم فيه أريوس وتعاليمه، وجُرد من رتبته الكهنوتية، مما اضطره إلى الهجرة إلى نيقوميديا - بلد شرق مصر على الساحل الشرقي من البحر المتوسط - حيث بدأ نشر معتقده هناك، ولما وصل أمره إلى الإمبراطور قسطنطين أمر بعقد مجمع للقساوسة للنظر في أمره، وقد عقد المجمع المسكوني بأمره في عام 325 للميلاد بحضور 318 أسقفاً في نيقية لمناقشة ما سمّوه وقتها (بدعة أريوس)، وقد أيد أريوس في دعوته 16 أسقفاً، ولذلك ظهر الانقسام في الكنيسة وكثر أتباع أريوس في مصر وغيرها، وقيل إن قسطنطين -مع أنه كان وثنيا يعبد الشمس- أثر على أريوس وفرض عليهم نبذه، وبعد ذلك تلاشت دعوة أريوس واختفت.

الكنيسة قبل البعثة النبوية

في القرن الخامس الميلادي استقرت عقيدة النصارى على عقيدتين في عيسى ابن مريم وهما:

1- عقيدة الكاثوليك: وقالوا إن له طبيعتان، فهو ابن الإله، وله طبيعة بشرية، فحينما كان في الأرض يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق فهو

بشر، وقبل ذلك وبعده فهو من الإله، وعلى هذا كان أغلب نصارى العالم وهم أتباع روما.

2- عقيدة الأرثوذكس: وقالوا إن له طبيعة إلهية واحدة، إله في السماء وفي الأرض، وهي الكنيسة الشرقية في مصر وروسيا واليونان والبلقان وغيرها.

" ثم بقي -أي العالم- في التلبس والظلام كما هو عليه حتى جاءت بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين والمبعوث للناس أجمعين فدعا إلى التوحيد، وحارب الوثنية وتلبس الأحيار والرهبان بنسخ كل شيء سبق وقاتل على ذلك حتى دخل الخلق في الإسلام وفُتحت البلدان في زمنه وزمن خلفائه ودخلت مصر مركز الكنيسة الشرقية في الإسلام"

وتوسعت الدعوة الإسلامية ووصلت لبلاد الترك وما ورائها وفارس وما وراء النهر والهند مع بقاء بعض الرهبان والأحيار على مكابرتهم، تمنعهم من الإقرار بالإسلام هيبة الرؤساء وخشية الرجوع عن دينهم، ويصف جون ستيورات مل حال هؤلاء النصارى في كتابه (أسس السياسية الليبرالية):

(المسيحية لم تعد تتقدم أدنى تقدم في توسيع نطاق انتشارها، فهي بعد ثمانية عشر قرناً لا تزال محصورة تقريباً في نطاق الأوروبيين ونسلهم، وحتى مع المتدينين المتمسكين بحرفية الدين الغيورين على عقيدتهم والذين يلحقون بها قدراً عظيماً من المعاني أكثر مما يفعله الناس عادة، لوجدت أن الجانب النشط نسبياً عند هؤلاء الناس هو الذي تلقونه عن (كالفن) أو (نوكس) أو مصلح آخر قريب الشبه في أخلاقه منهما).

عصور الظلام

" وأظهر تلك الصور الظلامية في ظلم الناس في حقوقهم ما يسيى في أوروبا بالإقطاع وهو أن الأراضي الزراعية التي يملكها السادة والملوك ورجال الكهنوت وربما سموها ب(النبلاء) يعمل فيها عبيد يباعون مع الأرض ويشترون، يعملون على ملء بطونهم لا يحل لهم التحرر منها... بالإضافة إلى الحكم الملكي المطلق بلا رجوع إلى كتاب مقدس ولا عرف... وبقوا على هذه الجاهلية العظيمة نحواً من عشرة قرون."

ظهور مارتن لوثر والانقلاب على الكنيسة الكاثوليكية (القرن 15 ميلادي)

"في آخر القرن الخامس عشر الميلادي ظهر من قساوسة الكنيسة في ألمانيا مارتن لوثر (1546) وتبعه متأثراً بقوله جون كالفن (1564) وجون نوكس (1572) فانقلبوا على الكنيسة الكاثوليكية، وسُموا بالبروتستانت (المحتجين) وفي اللغة الإنجليزية تعني كلمة بروتستانت: يحتج، وربما يُسمون ب (الإنجيليين)، يعني: أنهم يرجعون إلى الإنجيل مباشرة لا إلى فهم المحرفين والمبدلين له، ولهذا ليس لهم كاهن أكبر ولا بابا، مع بقائهم على العقيدة في المسيح كغيرهم.

أسباب ثورة مارتن لوثر

- 1- ضلال الكنيسة وفساد البابوية ومنها منح صكوك الغفران لدخول الجنة.
- 2- تبني الكنيسة جباية الأموال.
- 3- التحريم والتحليل ومنع أي شخص يسأل عن الدليل والمستند من الكتاب المقدس.

آراء مارتن لوثر وتطورات دعوته

كان مارتن لوثر من غلاة الرهبان، وبعد ذلك تدرج في التحول حيث كتب بياناً علقه في الكنيسة أنكر فيه صكوك الغفران ودعا إلى كثير من تعاليم الإسلام ولكن بغير اسمه، كالنهي عن التبتل والرهبنة، ومنع السرف والبذخ على التماثيل الكنسية (لذلك لا يوجد في كنائس البروتستانت تماثيل ولا صور) ودعا إلى إقرار الطلاق إن احتاج إليه الزوجان، وإقامة الحدود على رجال الكنيسة، والمساواة بين الإكليروس وعامة النصارى وقد كتب عدة رسائل في تقرير هذه الأمور ومن بينها رسالة بعنوان: بابوية روما أسسها الشيطان، ووضع ترجمة للكتاب المقدس من اليونانية إلى الألمانية حتى يتمكن عامة الناس من قراءته، فصار أساساً في الأدب والدين الألماني، وقد أصدر البابا في حقه جرم كنسي فأحرق البيان أماما الناس.

" إن ما دعا إليه لوثر وتبعه كالفن لم يكن على هدي سماوي صحيح، فهو يحاول تصحيح تحريف الإنجيل بالفطرة المبدلة الممتزجة بفكر صحيح، وبعقل معتمد على نصوص محرفة، والقرآن ينادي من دونهم ومن خلفهم (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله).

حرب الثلاثين عاما (1618-1648) وتأسيس العلمانية

" وكان سبب الحرب هو الخلاف الذي وقع بين اللوثرين والكاثوليكين¹، ولم ينته الصراع إلا باجتماع مائة واحد وعشرين ممثلاً للبلاد الأوروبية في بلدة وستفاليا غرب ألمانيا حيث أقروا: "أنه لا حل لفهم الحق وإقرار حكم سياسي واجتماعي يؤخذ من الكتاب المقدس يجتمع عليه، لذا فلا بد من تنحية كل المفاهيم عن السياسة ومصالح المجتمعات وبذلك أسسوا للعلمانية السياسية المبدعة للكتاب الوضعي المسى زوراً دين الله وشريعته ووصلوا إلى الحد الذي أخبرهم به محمد صلى الله عليه وسلم قبل تسعة قرون (يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) وحثهم على نبذ ما هم فيه من خرافة وتليبس باسم الإله و دعاهم إلى الحق، فخضعوا قسراً وأقروا بعد طول مراسي وتجربة بنصف الحقيقة، وهي أن ما هم عليه لا يصلح لا للدين ولا للدينا، وأنكروا الشطر الآخر وهو نبوة مجمد علواً وكبراً."

" واتفق أولئك المندوبون على إدخال الطوائف النصرانية الثلاثة- الكاثوليكية واللوثرية والكلفانية- تحت مظلة التسامح الديني، وكل يجب أن ينشغل بنفسه فانفلتوا من نصوص الأحبار المحرفة إلى العقل المنفلت الذي أوصلهم نهاية الأمر إلى جعل زواج الرجل من الرجل حقاً مشروعاً."

جان جاك روسو وفولتير والثورة الصناعية

تأثر جان جاك روسو (1778م) بالعقيدة البروتستانتية وصنف كتابه (العقد الاجتماعي) وعليه اعتمد الفرنسيون في ثورتهم حيث واجهوا الإقطاع ودعوا إلى حرية العبيد والعمال ومساواتهم بغيرهم، وأما فولتير فقد تأثر بالعديد من العقائد من بينها الإسلام، وبلغ به أن أنكر عقيدة التثليث، وأثبت تحريف التوراة وقال إن الدين المسيحي مشبع بالسخافات والكذب ولا يمكن أن يدافع عن نفسه، وفي بداية أمره كان يذم الإسلام ونيبه، ولكنه بعد أن توسع اطلاعه تخلى عن غلوه وتحدث عن محمد عليه الصلاة والسلام فقال: " إن محمداً من أعظم مشرعي العالم "

وقد نبه الشيخ هنا على فكرة دقيقة وهي: أن الإنسان إذا لم يستطع التراجع عن عقيدته دعا إلى حرية الاعتقاد على الأقل، وهو الوقوف في الوسط، ويرى الشيخ أن هذه هي حال جان جاك روسو وفولتير، اللذين لم يستطيعا التراجع عن النصرانية والدخول في الإسلام، ولكنهما وقفا في منتصف الطريق.

الثورة الفرنسية

وفي عام 1789 قامت الثورة الفرنسية على الظلم والبغي متأثرة بما كتبه روسو وفولتير، حيث فتح الناس السجون وقتلوا الملوك والنبلاء ودعوا إلى الإخاء والمساواة، وألغوا الملكية ونحو دينهم المنحرف عن التصرف في ملكهم وسياستهم، واستمرت الثورة نحواً من عشرة أعوام، ووضعت الثورة وثيقة حقوق الإنسان وفيها (يولد الناس أحراراً ومتساوين في الحقوق) وهي الجملة التي قالها عمر بن الخطاب قبلهم بقرون (مق استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً!!) وقد كان في الوثيقة أيضاً (الحرية تتمثل في السماح للفرد بأن يفعل ما لا يضر الآخرين) ولم يكن هذا التحول إلى تحكيم شيء إلا العقل المجرد، الذي لا ينضبط بضابط محدود.

انفتاح الحريات وتقديس العقل وبداية عصر الليبرالية

خلال الثورة الفرنسية ظهر تقديس العقل، ورفعوه فوق كل شيء فألوه وقدسوه، حتى سعى بعضهم هذا الأمر عبادة العقل، وقطعوا علاقة فرنسا بالفاتيكان، ودعوا وقتها إلى حرية المرأة للمرة الأولى، حيث ألغوا قوامة الرجل على المرأة، وصار من حقها أن تفعل ما تشاء، وأي أمر أو نهي

في الكتاب المذكور أن حرب الثلاثين كانت بين اللوثرين والكالفانيين، ولكن بعد التدقيق تبين أنها كانت بين اللوثرين والكاثوليكين ويبدو أنها خطأ¹ كتابي

من زوج أو أب هو بمثابة استعباد ويجب محاربته، ولو كان الأمر يتعلق بوجود بكارتها، حيث أصبح إلزامها بالحفاظ عليها حتى الزواج نوع من أنواع القهر وظهرت ما تسمى بالصحة الإنجابية من أجل أن تمارس الفتيات الفاحشة بصورة آمنة.

"وبعد ذلك بالغوا في الحريات وأصلوا فصل الفرد عن كل مؤثر عليه، ووجوب محاربة أي شيء يؤثر على اختياره بالقلب والجوارح سواء كان قبيلةً أو أسرة ممتدة أو عرف أو عادة أو دين"

ومن بين الحريات التي قرروها، إلغاء سلطة الأب على الأولاد، ومنعه من ضربهم على أي خطأ أو انحراف أياً كان، وإن فعل ذلك سقطت ولايته عنه، وجعلوا الطفل حر في تصرفاته ما دام فوق العاشرة، ولا يصح نهيه أو أمره، مع أن النبي لم يضرب امرأةً ولا صبياً خادماً، لكنه أمر بالضرب على ترك الصلاة فوق العشر، لأن الصلاة باب يدخل معه المعروف ويخرج معه المنكر، قال صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر) رواه أبو داود

وعن ظهور بوادر الفكر الليبرالي يقول المؤلف:

"وأصبح هذا الفكر لا يؤمن بما يسعى في العقل والشرائع السماوية ب (الضمير أو الفطرة) باعتبار أنه غير محسوس وغير مدرك، وعلى هذا فتنتأجه غير صحيحة والالتفات إليه وهم، فالحياة والعفة والحشمة لا وجود لها، فلما نُزعت تلك الفِطْر وألغيت اختل نظام العقل في فهم الوحي المنزل من الله، لأن الوحي جاء متوازناً مع الطبيعة المغروسة في الفطرة"

"ولهذا فالليبرالية لا يوجد لها أصول يحرص أصحابها على ضبطها، لأن الأصول والضبط ضد الانفلات"

أنواع الليبرالية

- 1- الليبرالية الاجتماعية: وهي حرية علاقة الناس ببعضهم البعض، وتقرير حرية الفرد بفعله وقوله وعقيدته ولبسه وصلته بمن حوله كما يريد هو لا كما يريد أحد، كما أقروا حرية الاعتقاد والزنا واللواط، بل وعاقبوا الدول المخالفة لتلك القرارات، وصارت كل الوسائل مُشْرَعَةً لتحقيق هذه المبادئ، وصار الاستبداد نفسه- الذي تندد به الليبرالية- أحد أدوات فرض هذا الفكر وتقريره على المخالفين.
- 2- الليبرالية السياسية: وهي التي تحدد شكل علاقة الأفراد بدولتهم وأنظمتهم السياسية وذلك بواسطة تنظيم الأحزاب والتمثيل النيابي، حيث قُدرت الديمقراطية كجزء من الليبرالية السياسية.
- 3- الليبرالية الاقتصادية: عدم تحكم الدولة بقوانين الإنتاج أو التوزيع، وإنما تترك ذلك لقوانين السوق.

بدايات تأثر الشرق بالليبرالية

سمعت المجتمعات الشرقية بالليبرالية في أوقات كانت تعاني فيها ظلم الحكام وفساد الحكومات، ولذلك رأى بعضهم الليبرالية هي المخلص الذي سوف ينتشلهم من الأوضاع التي هم فيها، متناسين ما تنطوي عليه أصولها، متجاهلين تدرجات الفكر الغربي واختلافاته عن الإسلام، وبالتزامن مع ذلك كانت ماكينة الإعلام لا تألو جهداً في إقناع الناس أن كثيراً من العلاقات المجتمعية التي يعيشونها من علاقة الزوج بزوجه والحاكم بالمحكوم هي علاقات قهريّة وكذلك علاقاتهم بالعلماء والفقهاء تشبه علاقات الإكليروس مع العامة، مستخدمةً في ذلك كل الأدوات والسبل.

وفي خضم تلك المخاضات الفكرية وتناقضات الليبرالية مع عقائد الإسلام وثوابته، كان لليبرالية في الشرق إحدى هذه المآلات الثلاث:

1- التراجع عن الليبرالية والعودة إلى أصول الإسلام.

2- تدمير الفكر الليبرالي من خلال التدليس والكذب وصناعة رموز إسلامية جديدة تنادي بإسلام ليبرالي من خلال عبارات من قبيل (الخلاف الفقهي) و(تغير الفتوى بتغير الزمان).

3-مواجهة الإسلام باسمه مصارحةً تحت مصطلح (لا يُعزَّرُ الإسلام إلا بإعادة قراءته) وهذا ما لا سبيل إليه، والتاريخ شاهد على مصارع الأفكار المخالفة له، وقد قال ميشيل عفلق في آخر صراعه الفكري مع الإسلام (لقد ندمت في مواجهة الإسلام وتمنيت أني لم أكن معه في مواجهة، لقد فقد نصف الأتباع في الصراع معه، لقد رجعوا إليه).

كيف نشأت الليبرالية الخديجة

الليبرالية الخديجة: مصطلحٌ أطلقه الشيخ على الليبرالية التي ظهرت في المجتمعات الشرقي وهي تحاول شق طريق في مواجهة الإسلام، ويرى المؤلف أنها لن تنجح بسبب الفوارق بين اليهودية والنصرانية من جهة والإسلام من جهة، وذلك لأن الصلة بين الدنيا والآخرة في الإسلام قوية مترابطة، تضبطها نصوص محكمة ثابتة على خلاف باقي الديانات التي تكون فيها الصلة بين الدنيا والآخرة ضعيفة هشة، فكان سهلاً على الليبرالية أن تجد مكاناً لها في حياة الناس هناك.

وكثيرٌ ممن حاول التأصيل لليبرالية في المجتمعات الإسلامية كان ينطلق من أصل صحيح وهو أن (الإسلام في حقيقته لا يتعارض مع أي فكرة صحيحة) وأخذوا يؤصلون بعض قضاياها بنفسها انهمازية مشبعة بالليبرالية معتمدين في ذلك على اجتهادات بعض الفقهاء الخاطئة، أو على تجاهل بعض النصوص حتى تتوافق الأدلة مع الأفكار التي يريدون إثباتها.

ثم بين المؤلف أن أصل خطأهم وهو استنادهم على التحليلات المادية الظاهرة وانتظار النتائج منها:

"وكثيراً ما كانت كل التحليلات المادية والمنطق العقلي الذي يخلص إليه الفرد مخالفاً لظاهر النص، ومن نظر في سورة براءة في القرآن وآيات النفاق في غيرها يجد أن مرد صراع النفاق مع الإيمان هو صراع مادي مع إيماني غيبي، والمادي كثيراً ما يتعلق بالواقع والتاريخ وتقلباته ونتائجه أكثر من النص"

ثم ذكر نتيجة التحليلات المادية وعدم التعامل مع النص كمرجعٍ أصيلٍ لقبول الأفكار وردّها بغض النظر عن نتائجها القريبة المرئية:

"فإذا جعل الإنسان ثبوت إيمانه بالله وكتابه ورسله على نفس إيمانه بالماديات، وطريقته في تحليلها، فإنه تنطفئ هيبه كلام الله في القلب ويضعف أثره في قوله وفعله، مع أن إهمال المنطق والعقل والمادة بالكلية ونتائجهم التي لا تغير المحكمات ولا تهمش القضاء الإلهي بل تعتنى بقضايا الأعيان ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما قصده في دعائه كل ليلة في صلاة الليل (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)

فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الاختلاف في تنزيل الحكم على الأعيان، لا في أهلية النص للأمة ثباتاً وتغيراً، وكثيراً ما يتجرأ الهوى بتنحية أصول الشرع واحدة تلو الأخرى حتى تنتهي الأصول بها، وهذا الأصل الذي بدأ به علماء بني إسرائيل في تنحية أحكام الله، فتجاوزوا الحد في قضايا الأعيان وتغليبها على الأصول، حتى تجرءوا على إضعاف الأصول وتبديلها"

ثم يبين الشيخ كيف أن حماية العقائد أولى من حماية الأفراد وأن سنة الله في الكون عدم ظهور نتائج الجهاد في حياة الفرد المناضل - إلا النبي - بل في مجموع حياة المناضلين، فكثيرٌ من الصحابة استشهدوا في بدر وأحد ولم يشهدوا فتح مكة وظهور الإسلام، ومن يغفل عن هذا الأصل يدب في نفسه الوهن والضعف ويضرب يمنة ويسرةً يستجلب نصر الله بغير الوسائل التي شرعها الله، وينسى خلال ذلك أن النصر هو بالأصل غايةٌ موعودة وليس أمرٌ ينبغي تحقيقه.

الليبرالية الخديجة

أسباب ظهور الليبرالية الخديجة

1- اختلاف الدين الإسلامي الذي تواجهه الليبرالية باسم العقل عن غيره، فخالق المادة ومنزل الدين المتكفل بحفظه واحد، لا يتعارض مع الوحي الصحيح والصريح، على خلاف الأديان الأخرى المحرفة.

2- اختلاف كثير من السياسات الشرقية عن غيرها، فهي ترفض تطبيق ما يمس حكمها وثرواتها، وتقبل ما عدا ذلك، كقبولها التحرر في حياة الناس وسلوكياتهم إرضاءً للغرب المتسلط ولو بشطر ما يريدون، وهذا ما جعل الليبرالية تختلف في كل بلد شرقي عن الآخر، ولكنهم مجتمعون ولو بشكل متباين على قبول الفكر الليبرالي في أحوال الناس الاجتماعية وذلك لسببين:

أ- أن كثيراً من المترفين والوجهاء والرؤساء عبر العصور أهل شهوات ونزوات، ويحبون أن يشابههم الناس في هذا الأمر، لأن حب المشاكلة أمر فطري يظهر في الخطأ أكثر من الصواب.

ب- أن الحكام يقبلونه في الحياة الاجتماعية على سبيل التوسط مع دعاة الفكر الغربي الذين يريدون فرضه على جميع المستويات، ولذلك يرى كثير من حكامنا أن ذلك أخف الضررين على مصالحهم الدنيوية، وهذا ما عبر عنه الشيخ بقوله: "وكتيراً ما يكون هوى نفسٍ واحدة فوق حظ الخلق كلهم، تعمي الإنسان سكرة الجاه عن مراقبة الله، وتحجب العقل عن أن يعطي حكمه العادل"

3- كثير من أهل الليبرالية (الشرقيين منهم) يأخذ ما يحتاجه من الليبرالية ويتجاهل الباقي، ثم يطلق على الذي فهمه "الليبرالية"

وقد توسع المؤلف في شرح هذه الفكرة لأن فهمها يعطي تصوراً دقيقاً عن دعاة الليبرالية في الشرق:

"والمعتنقون لليبرالية يتعاملون معها كالمقيص الفضفاض، منهم من تقمصه كله، ومنهم من اكتفى بإدخال يده في كفه، ومنهم من رمى به على عاتقه، ومنهم من التحف به، بحسب ما يؤثّر عليه من خلفيات فكرية وعقائدية وما يقيد من حدود الطبيعة وأجوائها الفكرية وموانع المجتمع السياسية، ومنهم من لبسه منكساً، وكل يقول: إن عليه قميص الليبرالية ويصدر عنها عقلاً ونظراً، وكل صادق في قوله، فهم يؤمنون ببعض الليبرالية ويكفرون ببعض"

وهذه اتجاهات خاطئة في اعتناق الليبرالية على حد قول الشيخ، فأنت عندما تنتمي مثلاً للإسلام، تنتمي له ككل، ولا تنتمي لركن من أركانه وتترك الباقي:

"والمراد بالليبرالية ما يتفق على معانيها مجموع منظرها، وإلا فهم لا يؤمنون بمشرع ولا بمقدس، وبعض تنظيرات أهلها تختلف عن بعض، فبعض تصورات جون مل تختلف عن تصورات جون لوك وروسو"

"والحديث عن الليبرالية يقتضي النظر في حقيقة العقل الذي يعتبر مشرعاً ومحكماً، ونتائجه في الحياة البشرية، فنحن لسنا نسقاً بشريا منفرداً بعقول لا كالعقول، وبمادة وطبيعة لا كالمادة والطبيعة، وأما طرق عقول الأفراد والبحث عما يريده الواحد منهم، فهذا ليس من أصول ضبط الأفكار في شيء، بل من بحر الشهوات التي لا ساحل لها."

"وإن كانت الليبرالية تؤصل لعدم التأصيل والتععيد العقلي، وترسيخ الفوضى الفكرية بإطلاق حرية الأقوال والأفعال والعقائد للأفراد، إلا أنه لا يمكن أن يكون ثمة فكر لا يمكن ضبطه، ولكن قد تتسع دائرة التععيد والضبط حتى تكثر الأنواع تحتها كثرة لا تحصى"

ثم ذكر المؤلف أن كل الأخطاء الفكرية التي حدثت في التاريخ وواجه بها الكفار أنبياءهم، هي نتيجة استبداد العقل والنظرة المادية الليبرالية، فمثلاً:

استبداد الحرية الجنسية هي التي دفعت قوم لوط إلى الشذوذ، حتى وصل بهم الحال إلى طرد المخالف (وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون).

واستبداد الحرية الاقتصادية هي التي دفعت قوم شعيب إلى المطالبة بأن يتصرف الفرد بماله كما يريد دون تدخل الدين في ذلك (قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك أنت الحليم الرشيد).

واستبداد الحرية الدينية هي التي دفعت فريش إلى مطالبة محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا معه نصف سنة ويؤمن معهم نصف سنة، في محاولة إلى خلق تقارب مزيف بين العقيدتين.

"وعلى هذا المبدأ كل ما جاءت به الأمم من عقائد وأفكار مردها التحليل العقلي وإن عارضها الأنبياء، فالعلمانية والليبرالية تؤصل لها، وتنفي عن أفعال أفرادها صفة الشذوذ والخطأ، فضلاً عن إنزال العقوبة والتأديب."

وليبرالية اليوم بشكل أو بآخر تصدُر في العديد من أصولها عن العقائد السابقة، وذلك لأن كل عقيدة سابقة لها تأثير على العقيدة الجديدة، ولكن أصحابها لا يشعرون بذلك بسبب ترسخ جذورها في أنفسهم.

4-السبب الرابع لليبرالية الخديجة هو: أن بعض منتسبي الليبرالية يخاف من تأثير بقايا عقيدته السابقة عليه، فلذلك يظهر تطرفاً في الليبرالية حتى يضمن خروجه من تأثير أفكاره السابقة، وهذا بحد ذاته يخلق لليبرالية صورةً أخرى جديدة، فهو ربما خالف بعض أصول الليبرالية الأصيلة في سبيل تحقيق حاجته، وهذا التطرف في الليبرالية ثابتٌ في كل من انتكس عن فكرة، فهو يغلو بالتمسك بنظيرها، وهذا يوافق ما ورد في قوله تعالى: (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً).

وكنيجة عامة ختم بها المؤلف هذا الفصل فقال:

"ولما اختلفت المؤثرات والخلفيات الفكرية والعقائدية عند الليبراليين، اختلف تطبيقهم لليبرالية وممارستهم لها، ولذا تجد الليبرالي في مصر يختلف عن الليبرالي في الشام والحجاز ونجد وغيرها، بحسب حدود البيئة التي يعيش لها، لأن الليبرالية ترجعك إلى عقلك الخالص بلا تأثير ولا مألوه، والعقول تختلف في ذاتها قدرةً وخبرةً وحدةً، وتباين في المؤثرات عليها التي قد تكون دقيقةً ولا يشعر بها صاحبها."

ثم بيّن كيف أن الليبرالية مهما كانت فضفاضة، ومهما آمن أصحابها ببعضها وكفروا ببعضها، إلا أن مسارهم يلتقي في نقطةٍ أخيرة واحدة:

"فالليبرالية الغربية على اتساعها تتسابق نحو الوصول إلى نهايةٍ واحدةٍ ولا تلتفت إلى الوراء، فلا يرجعون عن تقييد الانفلات وإنما يفلتون قيد القناعات، لتمضي بهم أقصى ما يمكن أن يفعل، والليبرالية اليوم لو تمسكت بأخلاق الليبراليين السابقين لأصبحت متخلفة."

قبل أن ينتقل المؤلف لتفنيد أصول الليبرالية، عاد ليذكر بعد خصائص العقل وطريقة تعامله مع الأفكار وتفاعله معها من خلال فقرات قصيرة

مع عناوين بسيطة

سياسة العقل مع الأفكار

إن العقل مفطور في أساسه على السير دون قواعدٍ تحده وعلى الانفلات، وهذه المشكلة التي وقعت فيها الليبرالية في التعامل مع العقل، حيث إنهم لم يستطيعوا تحقيق التوازن بين طبيعة العقل والإنسان المفطورة على الحرية وبين سياسية التعامل معهما وهي الضبط والتقييد.

"والقاعدة الكونية أن ما أصله الثبات يُضبط نقله، وما أصله الانفلات يُضبط تثبيته، فالزروع والثمار والبيوت والمعادن يضبط نقلها حسب المصلحة لا أن يؤصل ثبوتها، لأن أصلها الثبوت، وما أصله الانفلات يضبط تثبيته كالسيل والرياح وكثير من الكائنات الحية ومثلها العقل، أصل تركيبته من جهة الثبات والانفلات شيء والتعامل معه شيء آخر، وكما تفسد أحوال الناس ومعيشتهم في الاضطراب في قلب هذه القاعدة، كذلك تفسد أفكارهم وعقائدهم وأخلاقهم في قلب قاعدة العقل والتعامل معه"

إدراك نهايات الأفكار

وهنا يذكر المؤلف عيباً آخر من عيوب العقل وهو عدم إدراك نهايات الأفكار، وذلك لسببٍ مهم وهو أن العقل لا يرى نتيجة فكرته مباشرة، فتغير سلوك الناس وأفعالهم يتم بشكل تدريجي ولا يُرى إلا في الجيل الذي بعده، والناس تتمسك بالعادات تمسكاً قوياً ولو كانوا يريدون تغييرها في الحقيقة، ولذلك ربما استحسن العقل فكرة من الأفكار ورآها حسنة، وبعد قرنين من الزمن صارت وبالأعلى أهلها، ولذلك قامت الشرائع السماوية بسد كل المنافذ التي يراها العقل حسنة، والإبقاء على مصدر التشريع الثابت وهو القرآن والسنة.

وذكر المؤلف علاقة الليبرالية بهذه القاعدة:

"ومن أخذ الأفكار بالتدرج اليسير توطن على كل فكرٍ بلا استثناء ولو كان سيئاً، لأن السوء على سبيل التدرج اليسير البطيء لا يُدرك"

"والليبرالية قبل قرنين لو عرف منظورها أنها ستنتهي باستساغة الشذوذ الجنسي وتشريعه، وأن الرجل يتزوج الرجل في محفلي عامٍ بوثائق قانونية، فيضاف الرجل في جواز سفر الآخر زوجاً وكذا المرأة مع المرأة، واستساغة التعري بحيث يغطى القبل وحلمة الثدي فقط... لم تقم دعوة لهذا الفكر بهم، فهم أدركوا أين يبتدئ الفكر بهم ولم يدركوا نهايته وحدّه"

وكذلك قاسم أمين الذي نادى بنزع النقاب في مصر تحت شعار تحرير المرأة لم يكن يعلم أن الذين ساروا على مبادئه صاروا يطالبون بكفرياتٍ قطعية، كحقتها في الزواج من أربع رجال، وإلغاء قوامة الرجل.

ثم ذكر علاقة التشريع الإسلامي بهذه القاعدة (إدراك النهايات) فقال:

"وإدراك حقيقة أن القرآن تقويم وميزان للأمم والأفراد مهما تقلبت العصور والبلدان بهم حقيقة تغيب عن أذهان كثيرٍ من الناس عند تقويم الأفكار ووزنها، لأنه لا يمكن أن يجعل كل جيلٍ جديدٍ لأنفسهم نظاماً ويلغون السابق بسهولة، فنظم الحياة وعادات الناس لا تدفن مع الأجيال ليأتي كل جيلٍ بما يريد، ويتجرد منها كما يتجرد الواحد من قميصه، فلا بد من ضبط نظام تصلح عليه البشرية"

ومن المشاكل التي ذكرها الشيخ في هذا الباب هي مناقشة مسألة من مسائل الدين تحت تأصيلٍ منحرف، فربما تكون المسألة صحيحة في بعض ترجيحات المذاهب، ولكن عندما يتم تأصيلها تحت مظلة الحرية والمساواة يقع الناس بوهم صحة ذلك الأصل الذي ذكرت المسألة في سياقه.

"وعادة كثير من النفوس أنها تأخذ من المسائل والعلوم ما تهوى كما تأخذ اليد من الطعام ما تهوى، فتقوم بتركيب المعلومات بالهوى لا بالتدرج والانسجام بين مسائل العلم، بل بالانسجام مع النفس، فإذا امتلأ العقل من خليط المسائل الخديجة قال هذا رأيٌ وفكر"

العقل وإيجاد الفكرة من العدم

العقل لا يوجد الأفكار من العدم وإنما يؤلف بينما اكتسبه من المعلومات القديمة-حفظها كان أو نسبها- والتجارب والعوارض التي تمر على ذهنه فتقويه وتعينه في جمع أشتات ما عنده من معلومات وخبرات، وكلما زادت هذه العوارض على أذهان البشر كانوا أقوى عقلاً وأوفر ذكاءً.

"وكتيرا ما يأخذ الإنسان العلومَ فينساها على هيئتها التي أخذها وتصبح منثورةً في العقول إلى ما لا يحصيها الله من الأجزاء، تعود إلى ذهنه وتجري على لسانه بصورة أخرى لا يعرفها، وينفعه المنسي من العلوم ولا يشعر بذلك ويظن أنه أوجدها من العدم وليس كذلك."

"وإذا كان العقل الإنساني يخلط في المعلومات التي يدركها ويضبطها بالحس ويتجاهل كثيراً أصلها، فكيف سيتعامل مع كثير من المعلومات الغيبية الشرعية التي لا تدرك بالحس وإنما مردها إلى الدليل السمعي من القرآن والسنة."

والإنسان ضعيف، فهو لا يدرك ما حوله إلا بكلفة، فهو لا يعرف ما يكون خلف ظهره إلا باستدارته، ولا ما في جيبه حتى يخرج له ليراه، ولا حلاوة طعامه ومرارته إلا بأكله، يتفحص الكون بحواسه، ثم يخاصم الله في أمر الغيب والسماء، وهو (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون له علماً).

قصر عمر المتأخرين وعلاقته بالعقل

يرى المؤلف أن الحكمة من قصر عمر الإنسان تكمن في قوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير)، فالمعارف نوع من أنواع الرزق، ولو بسطها الله للإنسان لطغى في الأرض وتجبر، وأما طول عمر المتقدمين فسببه قلة من سبقهم من الناس وقرب حدوث البشرية، فمعارفهم كانت قليلة ولذلك ناسب أن تكون أعمارهم طويلة.

وكذلك من تمام العدل أن جعل للإنسان قصر العمر وكمال العقل حتى يستوعب الوحي ويفهم مقاصده، وبذلك يتم له دينه، لأن طول العمر مع نقص العقل سيضرب بفهم الوحي، وطول العمر مع كمال العقل سيؤدي للظغيان لا محالة.

"ولم أر طول العمر في الوحي، القرآن والسنة يُمدح إلا مع حسن العمل، وموت الصغير قبل بلوغه يُمدح، لأنه لم يعمل سوءً يؤاخذ عليه"

ثم ذكر المؤلف فكرة أخرى في هذا الباب تتعلق بقصر عمر البشر، وقد نقل فيها قول ابن تيمية في "الصارم": (إنه ليس في الأرض مملكة قائمة إلا بنبوة أو أثر نبوة، وإن كل خيرٍ في الأرض فمن آثار النبوات، ولا يستريين العاقل في هذا الباب الذين درست فهم النبوة مثل البراهمة والصابئة والمجوس).

حيث إنه لا يمكن للإنسان بسبب قصر عمره استقراء الحقائق والتاريخ والسياسات والوصول للحق بعقله، ولهذا كان الوحي هو المصدر الوحيد للعقل للوصول إلى الخير والصالح والدليل على ذلك قول المؤلف:

"والقلب الذي لم يتقلب في مشاهدة أنواع المؤثرات؛ الخوف والطمأنينة والحب والبغض والفرح والحزن، يختل في معرفة الحقائق ووزنها بقدر نقصان تلك الآثار عنده، لأن قيم الأشياء بمعرفة آثارها ومكابدها، فإذا لم تعرف عاقبة الشيء فكيف تعرف قيمته؟!"

وما أكثر ما تتغير الأفكار عند نزول البلاء أو رفعه، وعند نزول النعم أو سلبها، وإخلاص المحتاج والمضطر في المودة لا ينبغي أن ينخدع له اللبيب وأن يركن إلى صاحبه العاقل ابتداءً."

وختم هذه الفقرة من الكتاب بالكلام عن تباين ذكاء البشر بين العصور وتأثيره على كسب المعارف والتفاعل معها، حيث إن ذكاء العقول يتناسب مع بيئتها، ولا يتناسب مع أصل العلوم ومجموع البيئات، ولذلك لا تصح المقارنة بين أذكاء عصرين مختلفين، ثم وظف الشيخ هذا المفهوم ليستدل على خطأ من حاول فهم الأمور الشرعية وقياسها بعقله وذكائه:

"هذه المقارنة خاطئة في عصرين يرجعان إلى حياةٍ ماديةٍ دنيويةٍ واحدة، فكيف إذن بمن يجعل عقله وذكائه ميزاناً لحياةٍ غيبيةٍ، وهي الحياة الآخرة، ويحكم التشريع الرباني الميزان لأزمنةٍ متتابعةٍ وعصورٍ متطاولةٍ إلى عقله."

وقد قال ابن عباس في تأويل قوله تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)

أي: (يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال).

الليبرالية السياسية

قبل أن يبدأ الشيخ بذكر أصول الليبرالية والتفصيل فيها تحدث عن مفهوم السياسة في الفكر الليبرالي في الغرب والشرق، ونستطيع تلخيص هذه المفاهيم خلال هذه النقاط:

- ينبغي للعقل أن يحكم نفسه بنفسه، مع تحييده عن أي ضوابط دينية أو عقدية.
- الحكم يكون للأكثرية من خلال البرلمانات والانتخابات، ولا عبدة لنبي ولا لكتابٍ مقدس.
- أحد أبرز أسباب ظهور الليبرالية في الغرب هو إفلاس الكتاب المقدس -لأنه صالح لزمان معين ينتهي ببعثة النبي الذي جاء به، ولأنه حُرّف عن أصله- مما دفعهم لنبذ الاحتكام إلى العقل.
- الليبرالية تعاكس كل الأديان، ولما كان المشرق متمسكاً بدينه لم يتقبل الليبرالية السياسية، ولهذا صارت تُفرض على المجتمعات والأفراد، ولذلك وصلت إلينا ممسوخة أصلاً، لأن الليبرالية الغربية تفرض على السلطة رأي الناس، وفي الشرق صار العكس تماماً.
- حاول الحكام في الشرق استخدام كل الوسائل الإعلامية لتشويه الحقائق الشرعية وإسقاطها من النفوس بالعديد من الحجج الواهية، كأن يقولوا إن الزمن تغير، أو إن المسألة خلافية ويجب أن نكون أكثر مرونة بالتعامل معها.
- هدف الحكام الأساسي من تمكين الليبرالية هو الحفاظ على مناصبهم، وهم لا يدركون أن تطبيق الليبرالية بصورة صحيحة سيؤدي إلى زوالهم وزوال ملكهم.
- الصورة الممسوخة لليبرالية الشرقية تركت المولعين بالليبرالية الغربية من المسلمين إما في حيرة كبيرة، وإما في حالة مكابرة على الحق، لأنه يقر الكثير من الأصول السياسية بعقله ولسانه ويخالفها مكرهاً بأفعاله.

أصول الليبرالية

الليبرالية -بخلاف القرآن- تؤمن أن العبد هو الذي يحدث أفعاله ويختارها، ويرفضون تفسير أفعال الأفراد تفسيراً سببياً على الرغم من إيمانهم بقانون السببية الذي يضبط الطبيعة، بينما يقر الإسلام أن أفعال العباد هي من الله خلقاً ومن العباد كسباً وفعالاً.

"وعادة الفكر الليبرالي عدم إثارة أمور الغيب الإلهي والافتقار على المادة وما دونها، ولهذا لا يرغب أكثرهم في الحديث عن الخالق سبحانه، أو أمور الآخرة والدين"

ثم انتقل الشيخ للحديث عن أصول الليبرالية من خلال إثبات أنه يمكن انضباطها تحت أصول وقواعد عامة، وذلك لأن حتى الحيوان الهيم في سلوكه يمكنك أن تجد آثار انضباطه وتضعها تحت أصول عامة.

"وقد صنّف غير واحد من الفلاسفة والكتاب في سلوك الحيوان وانتظام عمله، وهذا يدركه من نظر في كتاب (الحيوان) لأبي عثمان الجاحظ (255 هجري) و(حياة الحيوان الكبرى) لأبي البقاء الدميري (ت 808 هجري) و (سلوك الحيوان) لجون بول سكوت، والإنسان العاقل يمكن ضبط

سلوكه وتصرفاته، ولو في دائرة عريضة الاتساع، كذلك لا يخرج الفكر الليبرالي من هذا التأصيل وبمجموع فلسفات العقل الليبرالي وممارساته فأصوله التي يُحاكَم إليها أربع لا يخرج عنها بجميع تطبيقاته كما يأتي بيّانها"

ثم انتقل الشيخ إلى الليبرالية الشرقية ليبين أن سبب الكثير من التناقضات التي تحصل عند الليبراليين الشرقيين سواءً في العلاقة مع الله أو مع الناس، هو عدم تحليل الفكر الليبرالي تحليلاً دقيقاً وفهم أجزاءه المنفصلة قبل تركيبها في صورة عامة واضحة، ولذلك قد تجد ليبرالياً يجيز الانتحار وآخر يمنعه، وآخر يجيز الزنا وآخر لا يجيزه، وذلك كله يعود لعدم فهم الأصول الأساسية والقواعد الفرعية التي ترتبت على تلك الأصول.

بقاء الليبرالية

إن أهم سبب لبقاء الفكر الليبرالي هو أنه أقرَّ أن لكل فردٍ قناعةً خاصةً به، لا يلزم بها غيره، وبذلك تبقى تلك القناعة، وذلك لأن القناعة الخاطئة لا تزول إلا بتصادمها مع قناعاتٍ صحيحةٍ أخرى، ومتى ما منع ذلك التصادم صارت القناعة خالدة.

"والسلوك الذي لا يتعارض مع غيره بالنقد والتصحيح سلوكٌ حيواني هيمي، وسيدوم ويبقى ما لم يتعارض مع غيره، فاليهائم وسلوكياتها تعيش على نفس السلوك والتصرف على الدوام، لأنها غير مفطورة على التصحيح فيما بينها كما في البشر."

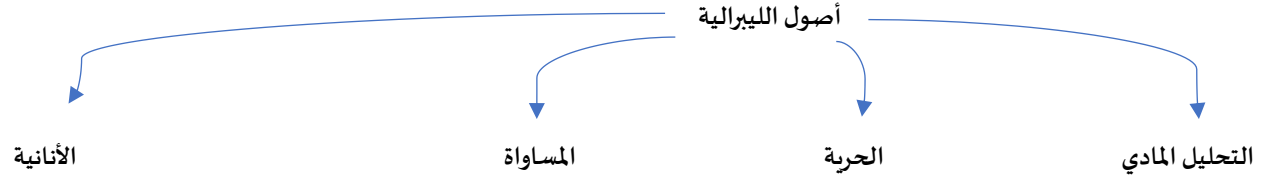
وبعد حديثه عن السلوك الهيمي أنهى حديثه عن الليبرالية بقوله:

"وهذا الأمر يحقق لكل واحد عقيدته وهواه تاماً كما يريد، فيشغله عن غيره، لهذا انصرف العقل الليبرالي عن الدين ومعرفة الوطن وحقه، وكثيرٌ من الغربيين لا يعرفون أكثر من محيط الذات بل كثيرٌ منهم لا يعرف اسم حكام بلاده، ولا يعنيه ولا يعنهم ما أقره الإسلام من حفظ النسب ومعرفته وصلة الرحم، والإحسان إلى الجار وذو القربى، وهذا نتاج تمرد النفس والهوى على الفطرة باسم العقل"

ترجمة الليبرالية

إن الترجمة اللغوية لكلمة الليبرالية (Leberaliis) تعني الحرية، أو ما يليق بالرجل الحر، ولكن هذه اللفظة لا تستوعب مصطلح الليبرالية كاملاً، إذ أن هناك أصولاً أخرى تندرج تحت هذا المفهوم، ويرى المؤلف أن كثيراً ممن تبنوا الليبرالية من أهل الشرق لم يكونوا على إدراك تام بما يحتويه هذا المصطلح، وأعجبوا بها لأنهم رأوا فيها وسيلةً لاستعادة حقوقهم المجتمعية المسلوبة، ولكنهم عندما انتقلوا إلى الجوانب التطبيقية بدا لهم التعارض والتناقض بين أصول الليبرالية ومسلمات الدين.

ولذلك قام الكثير منهم بالتدرج بمخالفة الإسلام واتباع الهوى حتى انسلخ من الإسلام بالكلية، وسيقوم المؤلف فيما يلي من فصولٍ بذكر أصول الليبرالية الأربعة مع شرحها وتفنيدها.



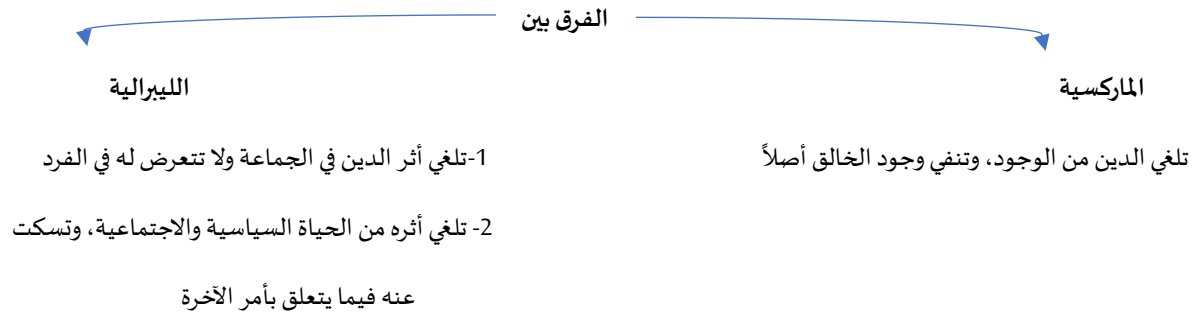
سيذكر الشيخ الآن أصول الليبرالية الأربعة ويقوم بتفنيدها، إلا أنه سيستطرد في الأصل الأول (التحليل المادي) لأن عليه مدار الليبرالية، وبعدها سيذكر الأصول الثلاثة الباقية بإيجاز.

الأصل الأول (التحليل المادي)

بدأ الشيخ بالتمهيد لهذا الأصل بالتزامن مع تحليل قصة إبليس مع سيدنا آدم عليه السلام، حيث إن طريقة إبليس مع آدم كانت إظهار التصادم بين النتائج العقلية للتحليل المادي وبين الأوامر الشرعية، حيث إن طاعة الله عز وجل تتعارض مع المصلحة المادية القريبة وهي الأكل من الشجرة والفوز بالخلود الأبدي وهذا أكبر المطامع البشرية، ولذلك كان إبليس يوسوس لآدم ويقنعه أن الأمر الإلهي متعارض مع مصلحته المادية، وخاصةً أن الله تعالى لم يذكر لآدم الحكمة من منعه الأكل من الشجرة.

وهذا تماماً ما يفعله الفكر الليبرالي، حيث يؤصل للمادية ويكثر من طرحها، ولو عارضت النصوص الصريحة من القرآن والسنة والإجماع، ويقوم برفض أي عقيدة تناقض التحليل المادي الذي وصل إليه من خلال العقل.

وهذا سبب إنكارهم المعجزات الثابتة ولو ذُكرت في القرآن، كأنشقاق القمر لسيدنا محمد (اقتربت الساعة وانشق القمر) بل ويسخرون ممن يؤمن بها لتناقضها مع التحليل العقلي المادي، وليس هذا فحسب فهم أيضاً ينكرون الفائدة من الأحكام الشرعية التي لا يرون الحكمة المباشرة من ورائها كالزنا والربا، وتحريم السفور والاختلاط، وذلك بحجة أنها تناقض نتائج التحليل العقلي المجرد.



ولكن، لماذا ألغت الليبرالية الدين في نظام الجماعة وتركته في نظام الفرد؟؟
 أولاً: لأن معارضة الدين بالكلية ونفي الأمور الغيبية مثل الماركسية، يعارض أصول الفطرة وبالتالي سينبذها الناس كما نبذوا الماركسية من قبل.

ثانياً: لأن إلغاء الإسلام من الحياة الاجتماعية وإماتته في النفوس، كفيلاً في إهراء النصف الفردي والأخروي منه، وذلك لأن انعدام الوجود الظاهر للإسلام في حياة الناس كفيلاً بأن يميمت وجوده الباطن في قلوبهم.

كيف تعامل الصحابة مع التناقض الظاهري بين أوامر الله والتحليل المادي؟

ذكر الشيخ نموذجاً لتعامل الصحابة مع هذه المشكلة حيث قال:

"رؤى ابن جرير الطبري عن سعيد بن جبير، قال: لما نزلت: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: من يأتينا بطعامنا، ومن يأتينا بالمتاع؟ فنزلت: (وإن خفتهم عيلةً فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء)"

حيث إن الصحابة وجدوا في بداية الأمر تناقضاً بين مصالحيهم المادية المترتبة على منعهم دخول المشركين المسجد، وبين وعد الله لهم بالغنى، وكانت حجة العقل أن كيف سيكون الغنى من دون المشركين، ولكن الله تعالى أخبرهم في نهاية الآية أنه (عليم حكيم)، أي عليم بما تفكرون به من التضاد بين الحكم وأثاره، وحكيم فوق حكمتكم بمصالحكم في الدين والدنيا.

ثم عقب الشيخ على القصة، وذكر أصلاً مهماً من أصول الأحكام الإسلامية:

"وأحكام الإسلام متلازمة ومتراصة، فربما يأمر بحكم ومن أثاره السلبية ما يعوضه بحكمٍ منفصلٍ عنه في الظاهر، كما هنا بين الأمر بإخراج المشركين من مكة ودفع الضرر والفقر بالجهاد، فإذا قصرَّ الناس بالحكم الآخر ولم يمتثلوا أمر الله فيه قالوا: أين ما أخبر الله به، وسبب ذلك تقصير الأمة بأخذها بجميع أوامر الله، والله علٌّ وأحكامٌ وتركيبٌ وتدبيرٌ لشؤون عباده لا يمكن أن يربط بينها حكيمٌ إلا هو"

الحكمة من مخالفة بعض الأوامر الإلهية التحليل المادي

هناك بعض الأوامر الشرعية تخالف نتائج التحليل المادي، وقد أمر الله بها لإثبات التعبدية لله وإثبات القصور البشري أمام الكمال الإلهي، ولو كان التحليل المادي متوافق مع الأمر الرباني بكل الحالات لم يكن هناك فائدة من إرسال الرسل والإيمان والجنة والنار.

"والأصل أن الشواهد المادية في الحياة كلها تدل على صدق كل ما أخبر الله به، ولكن لقصر عمر الإنسان عن مشاهدة الحقائق وحوادث الكون كلها التي لا تجتمع في عمره القصير فيأتي مولوداً وسط حوادث لم تكتمل، وحوادث شارفت على النهاية، وحوادث سبقت لم يرها فيأتيه الاضطراب."

وختم الشيخ حديثه في هذا الفصل عن سبب كفر الأمم السابقة، حيث ذكر أن النظرة المادية كانت دافعهم للفكر والإنكار وذلك ما بينه الله تعالى بقوله (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً، أو تكون لك جنة من نخيل وأعناب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً، أو يكون لك بيت من زخرف).

ولن يتوقفوا عن الاسترسال بطلباتهم، والمبالغة بطلب الأدلة المادية الحسية حتى يطلبوا أن يكون خطاب الله لهم بلا واسطة (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا).

تسلسل التحليل المادي يوصل إلى المحالات

تابع المؤلف في هذا الفصل الفكرة التي ختم بها الفصل السابق، ووضح كيف أن العقل الإنساني لا يتوقف عند حدٍ في لا في طلب الخير للنفس، ولا في دفع المكروهات عنها، وهذا معنى ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: (ولو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب)

وهذا الأمر مطردٌ كذلك في الأدلة والحجج التي يطلبها ويتمناها، كلما حصل له ما طلبه، طلب ما هو أكبر منه (أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً)

عدم انضباط التحليل المادي

يرى المؤلف أن أصل الخلل في النتائج المادية يعود إلى الخلل في القياس كمن يقيس المخلوق بالخالق في مسألة الانتقام ممن كفر به واستهزأ، ويرى أن الله كان لو كان موجوداً لانتقم، وسبب تصوره هذا قياسه الخالق العظيم على النفس البشرية الضعيفة، وقد شرح الشيخ أسباباً أخرى لعدم انضباط التحليل المادي وأجملها تحت خمسة أسباب رئيسية

أولاً: الإيغال في الأفكار الدقيقة يعمي عن الكبيرة

وذلك لأن الذي يببالغ التفكير في مسألة علمية دقيقة غالباً ما يذهل عن صورة المسألة العامة الأصلية وكيف يجب أن تكون عليه، فيظهر له من الأدلة والحجج على لسانه ما لا يجده عند الشخص الذي يناظره، ويعميه ذلك عن النتائج العقلية الصحيحة مما يؤدي إلى خلل التحليل المادي.

ثانياً: أثر المشاهد ولو ضَعُفْتُ يُضعِفُ الغائب ولو قوي

والسبب الثاني من أسباب عدم انضباط التحليل المادي هو أن العقل يُفَضِّلُ الحقيقة الضعيفة الناقصة التي يراها أمامه، ويؤمن بها، لأنه يراها بعينه، ويترك الحقيقة الكاملة ويعرض عنها لأنها غائبة أو بعيدة.

"وهذا سبب قوة الدنيا العاجلة وضعف الآخرة الآجلة في قلوب الناس، ووقوعهم في ملذات الأقوال والأفعال والتروك العاجلة، مع علمهم بالآخرة ويقينهم بها، قال الله تعالى: (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً)."

وكذلك الأمر بالنسبة للأفكار التي يجد الإنسان نتيجتها ولذتها العاجلة، فإنها تسيطر على عقله وتسبب خللاً في التحليل المادي على حساب الأفكار التي تكون لذة نتائجها آجلة.

كيف وظف الإعلام هذا السبب في تلميع الليبرالية وتزييف حقائق الدين؟

لقد استطاعت الليبرالية تزييف الحقائق وقلها وذلك من خلال تضخيم صورة الأثر المشاهد للعقل والترويج له وتحسينه من خلال عرض نتائجه المادية القريبة، وتحقير وتصغير الغائب عنه وعرضه بصورة الشاذ الخاطئ، والسخرية ممن يعتنقه وبذلك يضعف أثره في قلوب أصحابه، ومن الطرق التي وظفوها في محاربة الإسلام:

1- عرض أحكام التحريم الخاصة بأمرٍ ما في الإسلام بسياقٍ واحدٍ بحيث يسوقون العقل للظن أن الإسلام دينٌ تحريمي قائمٌ على الغلو والتشدد فمثلاً يعرضون المحرمات على المرأة، كتحريم السفور والخلوة والسفر بلا محرم والاختلاط والنمص والوشم وما شابهها من أحكام المرأة، حتى يخلقوا في ذهن الناس أن العالم الذي يفتي بالحق هو عالمٌ تحريمي، وبذلك يسهل عصيانه من جهة، ويبدأ هو بالتراخي شيئاً فشيئاً بسبب خوفه من تلك الصورة النمطية التي وسموه بها، وبذلك تحي الليبرالية الإجراء الفقهي عند الفقهاء، وتتسع دائرة التحليل حتى في الأمور التي حرّمها الإسلام تحريماً واضحاً.

2- إضعاف الضمير والفتنة من خلال التركيز على الفكر المادي، وعرض عيوب المخالفين والتركيز عليها وعرضها باستمرار حتى يقوى أثرها المشاهد في العقول.

"والغلو في التحليل المادي هو الماء الآسن الذي يطفئ جذوة الإيمان والتدين من القلب، ولهذا كل من دخل الفكر الليبرالي بدأ الإيمان بالغيب يضعف في قلبه وكذلك الحكم الإلهية، ولا يستحضر الثواب والعقاب، وتتعاظم جدا لديه المصالح العاجلة فيستسيغ تحتها فعل كل شيء حتى ولو كان حراماً."

وكثرة التفكير في الأمر تدعو إلى العمل به واعتقاده وهذه حقيقة عقلية توافق عليها الناس، وقد ورد في كتاب أحد فلاسفة الهند (كيتا): كل ما أدام الإنسان التفكير فيه والتذكر له فمناطع فيه حتى إنه يهدي به من غير قصد.

ثالثاً: ثبوت مناقضة العقل نفسه

يريد أن يثبت الشيخ من خلال هذا الفصل تناقض العقل، وذلك أنه قد ينقلب من أشد درجات نفي الأمر إلى أقصى درجات الإيمان به، وكثيراً ما ينفى العقل أمراً ما ثم إذا ما حدث أمامه صدقه بسبب قوة أثر المشاهدة.

ثم بين أن سبب ذلك يعود في كثير من الأوقات إلى خلط الناس بين التحليل العقلي أو الإيمان الغيبي عند الحكم على قضية معينة، فيضطرب حكمه تبعاً لذلك، ولكنه إذا ما نظر للمسألة بإنصاف لوصول للحق، وكثيراً من الملحدون تكمن مشاكلهم في هذه النقطة ويمنعهم قلة إنصافهم من ارتقاء سلم الحق.

"فالمسائل الشرعية كالمسلم تتقارب إدراكاً عقلياً، لا توجد مسألة إلا ولها مشابهة ونظير مقارب، فالمشابه ينتقض بنقض نظيره، والمقارب إن كان دونه ينتقض بدلالة الأول، وإن كان أعلى منه وأقوى، فبقياس الأغلب للمشابهة بين المتقاربين."

ثم ذكر الشيخ سبباً آخر لتناقض العقل وتقييمه الأمور بشكلٍ مقلوب، وهو أن انشغال العقل بالماديات يدفع صاحبه للعمل على كسب أكبر قدر من زينة الدنيا، سواء كان ذلك مالاً أو جاهاً أو شرفاً، ويرى كل من حوله بتلك العين "عين التحليل المادي"، ويضعف في قلبه ما دون ذلك، ومثال ذلك أنه عندما جاء موسى ليدعو فرعون وقومه الذين امتلأت قلوبهم بحب الملك والجاه، نظروا للأمر بطريقة التحليل المادي وقالوا له: (قالوا أجنثنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض).

"وهكذا هم أصحاب الماديات كالليبراليين يفسرون تصرف المخالف لهم في انحرافهم بأنه يريد حرب المادة والتطور والحضارة والصناعة، ويصورونه للناس بهذا، وهذا غلو في التحليل المادي، والتشيع بها انعكس عليهم هنا، كما انعكس هم فرعون على تفسير تصرف مخالفه."

رابعاً: ثبوت الخطأ في الماديات

اعتمد المؤلف في تقرير هذا السبب على القاعدة التي تقول:

"لا يمكن أن تتعدد الحقيقة في الذات الواحدة فتكون صحيحةً وخاطئةً في الحالة الواحدة"

حيث أن الناس يختلفون في كل شيء فترى أن كل قوم ينسبون الأفضلية لهم ولعرقهم ومعتقدهم دون غيرهم، ويتخاصم الناس في الكثير من الحقوق الظاهرة المحسوسة، وكل يدعي أنه هو صاحب الحق والأولى به، وهذا في الماديات التي هي مجال حكم العقل، فأنى للعقول أن تحكم على الأمور الغيبية؟!

"فإذا لم يتمكن مجموع العقل البشري من حد الحقيقة في نوع معين من أنواع الحقائق الحسية المشاهدة، فهو في الغيبات أكثر بعداً، فكان هذا سر الإلزام بالانقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى دون قيدٍ أو شرط (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)، سواء وجدت الحكمة المقصودة من الأمر أو لا، ويجب أن يُعتقد أن الأوامر الشرعية موافقة للفتنة البشرية

لا تعيد عنها، ولكن قد تتبدل الفطرة بكثرة العوارض الخاطئة عليها، ويظن العقل أن الأمر الشرعي لا يستساغ عقلاً وفطرةً، وإنما هي الفطرة مبدلةً بأحد أنواع التبدل دون أن يشعر".

"والإنسان يغلط ويخطئ ويغفل عن أمورٍ بين يديه، أو أمورٍ يمسكها بيده، وقد رأيت من يبحث عن قلمه وهو في يده حتى نبه، كيف بعقل يفقد ما في يده يجادل الله في غيب لم يره: (وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً)"

خامساً: تطبع الإنسان على الخطأ وأثره في النتائج

والسبب الأخير من أسباب عدم انضباط التحليل المادي هو اعتقاد الفكر الليبرالي أن تطبّع الناس على سلوكٍ معين وممارستهم إياه، تعني بالضرورة صحة ذلك السلوك، وذلك خطأً كبير، حيث يخلطون بين صحة القول أو الفعل وبين توطن النفوس عليهما، والحق أن السلوك لا يعتبر صحيحاً ولو توطنت كل الأرض عليه ما دام هو خاطئٌ بذاته، وأكبر نموذج يؤكد هذا المبدأ هو قصة قوم لوط، حيث إن المدينة تطبعت بأكملها على ممارسة الشذوذ وتقبله الجميع ما عدا آل لوط، فقال الله في القرآن الكريم لما جاءت الملائكة إلى لوط، فظنهم الناس رجالاً من بني آدم (وجاء أهل المدينة يستبشرون)، وفي هذا إشارةٌ إلى شدة تطبعهم على الشذوذ، فهم يفرحون لقدوم رجالٍ ويمتئون أنفسهم بممارسة الفاحشة معهم. ثم بين الشيخ كيف أن فطرة قوم لوط لم تنقلب بين يومٍ وليلة، ولم يفعلوا الفاحشة لأنهم قرروا ذلك من تلقاء أنفسهم، وإنما بسبب تطبعهم على السلوك الخاطئ وتدرجهم في قبوله، فبدأوا بالزنا، ثم استباحوا أديار النساء، ثم أديار الرجال، وهكذا كل سلوك خاطئ يبدأ بالتدرج ثم تنطبع الناس عليه حتى يصبح ملتصقاً بفطرتهم.

وهذه من خواص العقل وصفاته، حيث أنه كما يألف الحسيات يألف الأفكار، فالبصر يألف المنظر القبيح بكثرة النظر إليه، والسمع كذلك لو جاءه صوت طنين خفيف ثم بدأ بالارتفاع تدريجياً فإنه يصير ضجيجاً مزعجاً ولا يشعر بحاله، وهذا هو حال الغرب مع الأفكار اليوم، لقد توطنوا على فطرةٍ شاذة، وأفكارٍ مقلوقة، ولم يعد بإمكانهم تمييز السلوك الصحيح من الخاطئ، وهم بحاجةٌ إلى من يعيدهم إلى جادة الصواب ويأخذ بيدهم إلى الحق، مع أنهم سوف يسخرون منه وينكرون عليه ويصفونه بالجهل والنقص.

ثم ذكر الشيخ ثلاثة أسباب تجعل توطن النفوس على الأقوال والأفعال لا يُعتد به في ميزان العقول الصحيحة:

- 1- أن النفس مجبولةٌ على النفرة من الأمر الجديد الذي يدفعها إلى ترك القديم، ولكنها تألفه وتأنس به إذا جاءها بالتدرج.
- 2- الاستقراء في أفعال الشعوب البعيدة عن الله يشير إلى أنها تتروض على أقبح الأفعال تدريجياً مع أنها تستنكرها في بداية الأمر، وأكبر مثالٍ على ذلك الشذوذ، حيث كان يُعاقب صاحبه في بداية الأمر ثم أصبح قانوناً رسمياً!! وهذا في كل النحل والملل، ولذلك تجد الفيلسوف الهندي المهاتما غاندي يقول: (وأمي البقرة تفضل على أمي الحقيقية من عدة وجوه، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتطلب منا خدماتٍ طول العمر نظير هذا، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائماً ولا تطلب منا شيئاً مقابل ذلك سوى الطعام العادي)!!
- 3- كثرة الفاعلين للشئ لا تصبره خيراً، وعدم اتباع الناس للحق ولبعث أجزائه لا يصبره باطلاً، والكثرة والقلة ليست عبرة في معرفة الصواب، فالعقول كأسراب الطير في اتباع الأقوى والأشهر (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون)

أثر التحليل المادي على النفس

بهذا الفصل سيسرد الشيخ ويستطرد في آثار التحليل المادي على النفوس، ونتائجه على أفعالها، وسيذكر أمثلةً على علماءٍ أثرت فيهم النزعة المادية وراحوا يتنقلون بين الأقوال وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا.

أولاً: إضعاف الباطن

إن الانسياق وراء التحليل المادي وجعله منهجاً يقوي أثر الأمور الظاهرة في النفس، وتصير النفس أميل للتصديق بها والتسليم لها، لأن البحث عن الأمور الباطنة صعب يحتاج طول سبرٍ وتمحيصٍ وتدقيق، وهذا منهج أصحاب الباطل في تسويقه وعرضه للناس إذ أن الغلبة في عالم الظواهر تكون للأعلى صوتاً والأكثر عرضاً وتزييناً، وهذا نظير قوله تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً)

"وكثيراً ما يتناول العقل الليبرالي الظواهر المادية بالتحليل ويجتهد في ذلك، ولكن عند تناوله الظواهر غير المادية كالنصوص الإلهية يتناولها بضعفٍ شديد، لأنه غير مكترثٍ بتناولها إلا لإقناع الخصم"

وذكر الشيخ في هذا الباب بعض الأمور المهمة التي تحدثت نتيجة ضعف الباطن:

1- انتقاء الأدلة حسب الحاجة، كأن يبحث الليبرالي عن أدلة تجيز خروج المرأة بلا محرم، فينتقي الآثار الضعيفة ويستدل بها، وربما استدل بقصص حدثت قبل فرض الحجاب أصلاً.

2- استغلال العقل الليبرالي غفلة بعض العلماء في عرض أبواب الفقه بأصوله وفروعه وخلافياته، فيبدأ باختيار ما يوافق هواه من أقوال العلماء المرجوحة واجتهاداتهم، ويجعل القول الموافق له حجةً، وربما تغطي بغطاء "الاختلاف رحمة" و"وما في الدين من حرج"، وهو في الحقيقة اختار القول الموافق لهواه، ولم يقم بدراسة الأقوال كلها والترجيح فيما بينها على طريقة العلماء، وإنما جعل الاختلاف بحد ذاته حجةً ليختار ما يعجبه من المذاهب، وهذا خطأ فاحشٌ وقع به بعض الذين أرادوا أن يؤصلوا لليبرالية من خلال الإسلام حيث قال الشاطبي في الموافقات: (وليس الاختلاف حجة، وبيان السنة حجة على المختلفين من الأوليين والآخرين)

3- رمي الآراء في الدين في ساحة السياسة والسلطين والتدليل عليها، وتجريد هذا التعامل عن سياساتهم الأخرى وتعاملهم السابق واللاحق وكأن كل قضية منفصلة عن سياقاتها، وربما كان هدف الفقيه الإصلاح، ولكن هدف الليبراليين ممن حوله نظم أقواله في سياقٍ مؤيدٍ لليبرالية، وهذا ما وقع به محمد عبده حيث كان يأخذ المسائل التي يطرحها الغرب، ويبحث لها عن أصلٍ وقاعدةٍ في الإسلام، وقال عنه المؤرخ ألبرت الحوراني: (كان يريد أن يقيم سداً في وجه الاتجاه العلماني يحيي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن السد أصبح قنطرةً للعلمانية عبرت عليها للعالم الإسلامي، لتحتل المواقع واحداً تلو الآخر، ثم جاء فريقٌ من تلاميذ محمد عبده، وأتباعه فدفعوا نظرياتهم واتجاهاتهم إلى أقصى العلمانية)

4- خوف بعض الفقهاء من أن يوصف بالجمود والتخلف، دفعه لأن يفتي بكثير من الحذر ويتنازل عن بعض الأصول دون أن يشعر، لأن النفس إذا خافت من شيء هربت منه دون أن تبصر طريقها، لأن بصريها يكون على الذي تحذره وتخافه لا على الطريق، وهذا من شدة تأثير الإعلام على النفوس اليوم، وهؤلاء يستحضرون الشواهد المنفصلة والتي نزلت في قضايا عينية ويحشدونها معاً، فيختل ميزانهم بسبب إغفال النصوص الأخرى وذهولهم عنها بسبب تركيزهم على الظهور بمظهر الفقيه المجدد المنفتح.

وقد رد الشيخ على هذه الطريقة في اقتطاع النصوص من سياقاتها وإغفال غيرها، وتوظيفها في التأصيل للفكر الليبرالي فقال:

"والشريعة التي لا تأخذ الموازنة باعتدالي في أبواب الأمر والنهي في كل مسألةٍ منظورة، على المقدار الشرعي الذي وضعه الله سبحانه، هي الشريعة التي تورث الخلط لدى الناس، فالله أمر في القرآن وفي سنة نبيه الناس بالتوحيد، والصلاة والزكاة والصيام، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وإطعام الطعام، وإكرام الضيف، بصيغةٍ واحدةٍ هي (افعل) ولا يتحقق التفريق بين المأمورات تلك إلا بمعرفة الشطر الآخر من التشريع، وهو النهي ب (لا تفعل) فالتارك لبعضها يكفر، وبعضها يزجر ويؤدب، وبعضها تقصيرٌ خاصٌ بصاحبه، فإذا غيَّب الفقيه الشطر الآخر من التشريع، فقد جعل التشريعات في بابٍ واحد، وهو باب الخير والبر ولم يفرق بين الفاضل والمفضول"

5- عرض الإعلام كلام العلماء في مسألة ما، وتكراره وإظهاره بصورة توهم المتلقي أهمية المسألة وهي غير مهمة في الحقيقة، وبذلك يخرج الكلام عن الصورة التي أرادها له العالم عندما تكلم، ولذلك ينبغي على العالم أن يوازن كلامه وينتقيه بالصورة التي أرادتها الشريعة من حيث ترتيب الأهمية والمركزية.

6- تأصيل بعض الماديين لأفكاره بنصوص شرعية لا يُعتدُّ بها أصلاً، كأن يؤصل لحرية الدين بقوله تعالى: (لا إكراه في الدين) ولا يدري موضعها في النزول، ولا مراد الله منها، أو يسوق أثراً لفعل الصحابة في مسألة ما دون أن يعرف أصل المسألة وهلم جراً..

ثانياً: الغلو في التحليل المادي يضعف الإيمان

يوضح الشيخ هنا أنه من أكثر النظر المادي والتحليل العقلي، يبدأ باستثقال أوامر الله الصريحة وربما يخجل من تطبيقها أمام الناس، وحتى إنهم يتجنبون بدء خطبهم ومقالاتهم بالبسملة، لأنهم يرون أنفسهم إن فعلوا ذلك تحت هيمنة الدين، وذلك يخالف التجرد العقلي الذي يريدونه عند إطلاق الأحكام.

"والموغل في تقويم الأحكام بالنتائج الحسية فحسب، يضعف خوفه من الله وخشيته ومراقبته له بقدر تعلق قلبه بصدق النتائج العقلية"

ثم انتقل الشيخ إلى موقع الليبرالية من هذا فقال:

"والنظرة المادية تظهر في العقل الليبرالي، يتدرج فيها شيئاً فشيئاً، حتى يصل معها إلى حد عدم الاعتراف بالأصول العظام، فالليبرالية طريق أوله هوىً وفسوق، وأوسطه كفرٌ وآخره إلحاد"

ثالثاً: الغلو في التحليل المادي يضعف وازع الطبع

تحت هذا العنوان ذكر الشيخ ثوابت الطبع أو الفطرة وأصولها وأهميتها في قبول أحكام الشريعة، وذكر أمثلة عديدة على ذلك وسأقوم تلخيص الأفكار من خلال بعض النقاط الرئيسية:

1- الفطرة: الفطرة كالإناء الذي يوضع فيه الماء، إذا ثقب أو صدع، لن يستقر فيه الماء، وهكذا حال الوحي الرباني مع الفطرة المتغيرة.

2- الوازع الطبيعي أو الفطرة أمرٌ قطعي الثبوت في جميع الشرائع، ويؤمن به كل عقلاء الأمم السابقة وكل فلاسفتهم كأرسطو وسقراط.

3- من فروع الفطرة، الحياء والمروءة والغيرة والحب والغض والكرم والإحسان والاستحسان والاستقباح، وضعفها في النفس يؤثر في صحة الحكم، لأن هذه الأمور لا تتوافق مع التحليل المادي ظاهراً.

4- الشريعة تركت الكثير من الأحكام إلى وازع الطبع والفطرة لقوتيهما، فمثلاً لم يرد تحريم شرب البول أو أكل العذرة بشكل صريح، وذلك لأنه أمر تستقبجه الفطرة السليمة.

5- من أكبر مثالب الليبرالية أنها لا تؤمن بالفطرة والضمير، ولا بكونهما مصدراً صحيحاً يُخرج منهما بنتائج صحيحة، وترى صحة اختيار النتائج الحسية والعقلية والرغبات النفسية لكل إنسان مهما كانت شاذة.

6- عدم اعتراف الليبراليين بالضمير والفطرة ومخرجاتهما يجعلهم خطيرين على خصومهم، لأنهم هدفهم إلغاء الخصوم ولو عن طريق التزوير والبهتان وحتى الحبس والقتل.

7- الفطرة تتبدل وتتشكل بحسب البيئة، ومن أليف الفطرة المبدلة سوف يرى التكاليف الشرعية غير منطقية، فمثلاً لن يستوعب إنسان الحكمة من تغطية المرأة لوجهها وهو يعيش في بلد يشيع فيه التعري.

8-ذكر الشيخ مسألة "شهادة المرأة" نموذجاً يستدل فيه "كيف أن الفطرة المبدلة لن تفهم الكثير من الأوامر والأحكام الشرعية ولن تراها منطقية":

"والرجل الذي يعيش في بيئة يختلط فيها الرجال بالنساء في العمل والدراسة لن يدرك الحكمة من كون شهادة الرجل بامرأتين، (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) ولماذا تأتي امرأةً مقابل الرجل، وذلك كي تقطع الثانية حديث الأولى غير الضروري مع الرجل، فال تعالى: (أن تضل إحداهما) يعني: تنسى (فتذكر إحداهما الأخرى) فلماذا لا يذكرها الرجل الذي شهد معها؟ التذكير حديثٌ طويل، وليس له حدٌ منضبط، ويمكن تحصيله بوجود امرأةٍ ثانيةٍ تشهد، لهذا جاء بها، والمرأة بعيدةٌ عن بيئة الرجال وأحوال التجارة، فلا تضبط كضبطهم، والبيئة المختلطة أصلاً لن تدرك الحكمة من كون شهادة الرجل بامرأتين ولن تظهر لهم العلة فيرون غرابة الحكمة".

النص المفتوح

وهو مصطلحٌ يُقصد به إلغاء المعنى القطعي الواحد للنص مهما بلغ وضوحه، ومهما كان المفسر له منزلة ولو كان معصوماً، بل إن أهمية المكتوب أهم من الكاتب، ورأي القارئ في ذلك أهم من رأي الكاتب نفسه، وهي نظرية أخرجها أصحاب الأديان الأخرى ومن بينهم مارتن لوتر للخروج من مشكلة النص المحرف لديهم، ثم أصبحت بعد ذلك مدرسةً في إلغاء النص الثابت، مهما كان صريحاً وموافقاً للحق، والسماح بإطلاق التفسيرات على أي معنى يصل إلى الذهن ويتبادر إليه، وكان لهم من وراء ذلك غايتان:

الأولى: أن الحقيقة هي في الفلسفة العقلية والتحليل المادي وليست ثابتة في الألفاظ، فتتغير المعاني حسب الحقائق والتحليلات، لا أن تثبت مع ثبات الألفاظ، وإلا أصبح ذلك جموداً.

ثانياً: أن للسياسات والنظم العامة للحكومات غايةً لا بد من تحقيقها، والوسائل الموصلة إلى الغاية مشروعةٌ وصحيحة، فلا بد من تحقيق النتائج ولو بوساطة التوسع في قراءة النص، لأنه لا مقدسٌ أكثر من الحقيقة التي يحتاجون إليها ويريدون تحصيلها.

وهذا الفكر يؤصل لإلغاء النصوص المقدسة أو المسلمات والقطعيات الشرعية، بل والإجماع كذلك، ويسعى إلى تأويل النص وانفتاحه، مما يجعله قابلاً للتأويل بشكل مستمر، وفي كل مرة يتغير التأويل بحسب الحاجة.

ويرد الشيخ على هذه الفكرة بطريقة قوية حيث إنه يقول إن مثل هذا الانفتاح على تأويل النص غير مقبول في دساتير البلدان الوضعية، ولا يسمح لكل أحد أن يقرأه حسب فهمه وهواه، وإنما تطبيق قوانينه حسب ما أراد الذين كتبوه، لا حسب الذين تخصمهم أحكامه، وضبط الدين على أمر الله المحكم البين أولى.

الأصل الثاني

الحرية

سُعي الإسلام دين الفطرة لأنه لا يلغي الغرائز الإنسانية وإنما يهذبها ويضع لها حدوداً، والحرية واحدةٌ من هذه الغرائز الإنسانية، إذ أن الإنسان بميل بطبعه لأن يكون أمراً لا مأموراً، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: (أبحسب الإنسان أن يترك سدى)، قال الشافعي في الأم: لم يختلف أهل العمل بالقرآن فيما علمت أن (السدى) الذي لا يؤمر ولا ينهى.

والليبرالية كثيراً ما تأتي إلى الأمور التي منعها الإسلام، وتضخمها إعلامياً حتى يظن الناس أنهم لن يتحرروا بشكل كامل حتى يتحرروا من عبوديتهم لله، والحق أنه لا يمكن أن تصلح الدنيا إلا بالعبودية وهي قهر النفس ومنعها عن رغباتها سواءً كان الذي يمنعها صاحبها أو شخص آخر.

"وأكثر منافع حرية الإنسان الدنيوية ترجع إلى الحر وحده، لا ينتفع بها غيره، وأكثر منافع عبوديته الدنيوية متعدية النفع للناس"

الحرية بعيون الليبرالية:

- 1- حرية الدين: تقر الحق في اختيار الدين وتحديد الخالق للعقل وحده، وتقديسه حتى يختار ما يريد.
- 2- جعل الحرية غاية: أي إنها تبحث عن الممنوعات في القوانين والتشريعات سواء كانت سماوية أو وضعية، وتؤصل لجعلها مسموحة مرغوبة ولو كانت النفوس لا ترغب بها، فالحرية صارت هنا هي الهدف بعينها وليست وسيلة لنيل حقوق أخرى.

حرية الدين

وهذا أحد أهم أصول الحرية الليبرالية، إذ يرون أن اختيار الدين هو من حق العقل ووظائفه، وهذا باطلٌ من عدة أوجه:

- 1- اختلاف العقول بالفهم والإدراك، وضعف بعض العقول أمام من يستغلها.
 - 2- العقل والفطرة يقران بوجود متقابلات مثل الخير والشر والظلام والنور، وتقرير اختيار الدين حتى ولو كان يخالف فطرةً ثابتةً يؤدي إلى عدم التوافق بين الاختيار والصحة، "فمجرد الاختيار ليس هو الصحة، وإلا لأصبح كل من يختار مصيباً وناجياً"
 - 3- إذا كانت تسنُّ القوانين والتشريعات لتنظيم الماديات المحسوسات، فمن باب أولى أن يكون هناك وحيٌ يضبط أمور الآخرة التي ستكون عاقبة البشر ودار الجزاء.
- والداعين إلى حرية الدين يحاولون ذلك تحت العديد من المظلات منها:
- 1- تسامح الأديان والحوار فيما بينها حتى يتم جمع الأديان كلها في بوتقةٍ واحدةٍ دون فرقي بينها، وبذلك يتم إلغاء الحقيقة التي قررها القرآن (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه).
 - 2- حمل النصوص على غير وجهها لتتوافق مع الأصول الليبرالية، كقوله تعالى (لا إكراه في الدين)، وهذا باطل، وسبب نزول الآية وتفسيرها معروف لدى أهل التفسير.
 - 3- تأويل النصوص التي تخص رخصةً معينة، وذكرها على سبيل العموم.
 - 4- استغلال الصور النمطية التي ينشرها الإعلام والتشويه الذي تعودت عليه الأذهان، في تقرير الأشياء المحرمة من خلال تفسير أقوال المخالفين بطريقةٍ مبالغٍ فيها، ليمرر رأيه في المسألة، ومثال ذلك من يقول أن في تحريم الاختلاط قطعٌ للأزواج ومنعٌ للتعليم، ويحمل أقوال القائلين به أنهم يريدون أن يجعلوا لكل جنسٍ بلداً خاصاً به ونحو ذلك من المبالغات في تأويل أقوال المخالف.
- 4- محاربة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنهما مركز ضبط الحريات في الإسلام، ويفعلون ذلك بحجة "دعوا الخلق للخالق" والعبارات المشابهة لها التي تنتقص من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأصل الثالث

المساواة

المساواة تشترك مع الحرية، إذ أن من تساوى معك تكون متحرراً من أمره ونهيه، وطلب المساواة من فطرة الإنسان الأصيلة إلا أنه ينبغي ضبطها، فلا بد من تباين بين العباد ولو يسير، ومما يدل على أن المساواة أمرٌ فطريٌّ مشروخٌ قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (ألا لا فضل لعربي على أعجبي، ولا لعجبي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)

والمشكلة التي وقعت فيها الليبرالية أنها تجاهلت الفروق الموجودة بين حقائق الأشياء وتركيبها، وطالبت بالمساواة المطلقة حتى وصل الأمر إلى تغيير الجنس، وهذا خطأ واضحٌ لأن الروح ستبقى كما هي، وفي ذلك ظلمٌ لفطرة الذكر والأنثى معا.

"والله يذكر التماثل بين الخلق في الأحكام كثيراً، ويؤكد على ذلك، وعند ورود الفارق لوجود دواعيه يذكر الفرق، وينبه عليه تأكيداً لثبوته، فعندما ذكر الله الحق بين الزوجين قال: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) إشارةً إلى تساوي الحق بينهما على الأغلب، ثم عقب ذلك بتفصيل: (وللرجال عليهن درجة) لحق القوامه والسكنى والطلاق وغيرها."

فالإسلام أقر المساواة في بعض الأمور، والاختلاف في أمور أخرى، وذلك بما يتناسب مع فطرة كل منهما، بينما الليبرالية لم تعرف الحد الذي يجب أن تتوقف عنده، وأقروا المساواة من جميع الوجوه، وهذه غفلة وزلة عقلية، فوجود التشابه لا يقتضي وجود المساواة، فالإنسان يتشابه مع الحيوان ببعض الغرائز، وبعض الحيوانات تتشابه فيما بينها ولكن مع ذلك لا تصح المساواة بينهما.

"وحينما فضل الله مريم عليها السلام قال: (وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) وما ذكر الرجال، لأنه جنس آخر من البشر يتفاضل هو فيما بينه"

وفي كثير من الحالات نشأت نزعة المساواة هذه كردة فعلٍ للظلم الذي تعرضت له المرأة في العصور السابقة عند النصارى واليهود، وأما الليبرالية الشرقية فقد أخذت هذه المساواة كما هي بطريقة عمياء، متجاهلين التباين بين الجسم والفطرة الموجود ما بين المرأة والرجل، ومتناسين أن أحكام الإسلام لم تتبدل وتتغير كباقي الأديان.

فلذلك نجد أن الشرع حرم على الرجال أشياء لم يحرمها على النساء والعكس بالعكس، مع التساوي في أغلب الواجبات والمحرمات الأخرى، فحرم على الرجال الذهب والحريز وأوجب الجهاد وصلاة الجماعة، وأمر المرأة بالحجاب وغض الصوت، وفي كل ذلك موافقةً لطبيعة كل منهما، وهما متساويان بالأجر والعقاب.

المساواة في الميراث

خصص الشيخ هذا الفصل للرد على شبهة المساواة في الميراث، وذكر المؤلف أن هذه الشبهة وأمثالها تنشأ عن قصورٍ في النظر لنظام الأموال في الإسلام بشكلٍ عام، وتركيز النظر على مسألةٍ واحدةٍ فيه وحسب، والحق أن نظام المال في الإسلام يقضي بأن المرأة لا تحمل نفقة نفسها سواءً في بيت زوجها أو عند طلاقها، ولا مسكنها ولا علاجها، ولا تدفع مهراً لزوجها، وكل ذلك من مهام الرجال في الإسلام.

ويذكر الشيخ أن الليبراليين يعتمدون في هذا المسألة على إثارة العواطف وتوظيفها، وتغيب الجانب العقلي في الطرح ليصلوا إلى المقصود، وكثيراً ما يحشدون أحكام المرأة (كالحجاب، ووجوب المحرم، وتحريم النمص ووصل الشعر) في سياقٍ واحدٍ ليجعلوا الإسلام يظهر بصورة الظالم للمرأة السالب لحقها، وذلك كمن يستدل على سواد الوجه عن طريق تكبير صورة شامةٍ سوداءٍ فيه، وهذا ما يفعله الإعلام في الكثير من قضايا المرأة، ولو فعلت هذا في أي أمرٍ لاستطعت التلاعب بالعقول والتأثير بها، فمثلاً الإسلام فرض على الرجل النفقة والمهر والقوامة، والعمل بجد وكدح من أجل ذلك، وحرّم عليه الذهب والحريز، فلو نُظر في هذه المسائل محشودةً مع بعضها لوجدنا أن الإسلام ظلم الرجل أيضاً.

"ولو جُمعت الأحكام في نظام الإسلام تاماً، ووضعت في موضعها الصحيح من وجهه الحسن، لصح النظر لها، وفهم الناس مقصدها وتعليلها"
ثم ذكر الشيخ بعض الأمثلة التي تطرح في غير سياقها للتلاعب بالعواطف وخداع العقول، كشهادة الرجل التي تعدل شهادة امرأتين، وكون دية المرأة تساوي نصف دية الرجل، ورد على هذه الشبه الواردة في الكتاب، ولم أذكرها لأنها في غير موضوع الفصل، وإنما ذكرها الشيخ استطراداً.
وختم هذا الفصل بقوله:

"والأفكار لها مبانٍ، كالبيوت، لا بد من ترابطها وتلازمها، فإذا أردت ان تضع لبنةً على رأس حائطٍ فابني أصل الحائط ووسطه قبل أن تضعها، وإلا وضعتها في الهواء وسقطت، واستغرب من يراك صنيعك"

وكثيرٌ من الذين ينقلون تأصيلات الليبراليين الغربيين ينقلونها مفصولة عن سياقها، فجون ستورانت الذي قعد للبرالية السياسية، يُصرح بصلته الغرامية لسيدة متزوجة أكثر من واحد وعشرين عاماً، ثم تزوجها بعد وفاة زوجها"

الأصل الرابع

حب الذات أكثر من الغير

(الأنانية)

يرى الشيخ أن أصول الليبرالية مترابطة متلازمة تخدم بعضها البعض، فالحرية الفردية تقتضي اهتمام الفرد بحقوقه الشخصية دون الالتفات إلى مصالح الآخرين، وبالتالي تضعف عنده نوازع أعمال الخير كصلة الرحم والإحسان إلى الجار والنهي عن المنكر، وهذا ما يؤدي إلى تعظيم الذات وحبها والعناية بها، وهذا الأصل من أعظم أسباب سقوط الفكر الليبرالي واضمحلاله، وذلك أن ينشغل الفرد بنفسه ولا يعتني بغيره، وهذا لا يتوافق مع الإسلام لأنه يعتني بإصلاح الفرد بالأساس.

"والنفس بطبيعتها تحب ذاتها أكثر من غيرها، ولكن الله دفعها إلى الاهتمام بغيرها، لتتحقق سنة الموازنة، وكما تقدم فإن الغرائز لا تحتاج إلى انفلاتٍ لأنها منفلتة، ولا إلى إلغاء لأن إلغاءها يخالف الطبع البشري والسنن الكونية، وهذا محال، بل تحتاج إلى ضبط وتنظيم"

وقد ضبط ذلك الشارع في حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) فجعل من تمام الإيمان حب الغير بنفس مرتبة حب النفس.

بينما الليبرالية تنزع إلى تقوية غريزة حب النفس مع كمال الحرية، فتختل الحقوق الأخرى وتضطرب، ولذلك ترى الليبراليين لا يرون أي معنى لصلة الرحم والاعتناء وبر الوالدين.

"وإذا انفصل الإنسان عن قراباته ونسبه، ضعُف في قلبه وازع الطبع، فلبس وأكل وفعل ما شاء، لأن الناس لا يعينهم فعل الأبعدين كما يعينهم فعل الأقربين"

وكلما تأصلت الأنانية في النفوس رأى الإنسان أن لا حق لأحدٍ في ماله، وبذلك لن يؤمن في حق الله في ماله كالزكاة والصدقة، ومنع الإسراف والتبذير، وذلك لأنه يرى أنه حرٌّ في ماله يتصرف به كيفما يشاء.

والله الهادي إلى الحق، والمثبت عليه

خاتمة

انتهى ملخص كتاب "العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل" للشيخ عبد العزيز الطريفي (فك الله أسره)، وهو إن لم يكن من الكتب التي استوعبت جميع أفكار الليبراليين من جهة منظريها، إلا أنها استوعبت أصولها بشكل بديع، واستطاع الشيخ بذهن ثاقب أن يرد أغلب أصول الليبرالية والاختلاط والإشكالات التي وقعت عند الليبراليين إلى الكتاب والسنة ببراعة استدلال تشهد للشيخ على سعة علمه واطلاعه على المسألة. وإن هذا الكتاب يعطي تصوراً كافياً للمسلم لنشأة الليبرالية وأصولها وأثارها في حياتنا اليومية وفي طريقة تفكيرنا ونظرتنا للحياة، كما يعطي لقاحاً منيعاً تجاه أفكارها الخاطئة وذلك من خلال تشریح العقل الإنساني وفهم مواطن ضعفه وقوته، ثم تبيين المسائل التي تختلط عليه بين الشرع والفكر الليبرالي.

ونسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، وأن يجزي الشيخ عبد العزيز الطريفي عنا خير الجزاء وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.



غراس

للإنتاج الفكري